إشكاليات حول مفهوم الجهاد
في الإسلام
بين انحراف الفهم وتصحيح المفاهيم

دراسة تحليلية نقدية

إعداد

أ.د / محمد عباس عبد الرحمن المغنى

أستاذ مساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

إشكاليات حول مفهوم الجهاد في الإسلام بين انحراف الفهم وتصحيح المفاهيم دراسة تحليلية نقدية

محمد عباس عبد الرحمن المغنى

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.

البريد الالكترونى : Mohamed3abas@azhar.eg

الملخص :

فيُعد مصطلح الجهاد من أكثر المصطلحات الإسلامية التي تعرضت للتحريف والتشويه قديماً وحديثاً ، تارة من أعدائه ، وتارة من بعض الجهلاء من أبنائه ، وكان الذين تكلموا في الجهاد بالتشويه ما بين متشدد وغال ، أو جاف ومتساهل ، حتى شوهوا هذا المفهوم الأصيل بقصد ، أو بغير قصد ؛ فصوروه تارة بأنه يرادف الإرهاب ، أو أنه يساوى القتال والحرب تارة أخرى ، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم ؛ من هنا وانطلاقاً من المسئولية الدينية والدعوية المنوطة بالأزهر الشريف ورجاله حول تصحيح المفاهيم الإسلامية كان هذا البحث ليناقش قضية من قضايا الساعة تحت عنوان : (إشكاليات حول مفهوم الجهاد في الإسلام بين انحراف الفهم وتصحيح المفاهيم دراسة تحليلية نقدية)؛ أردت بهذا البحث أن أُسلطَ الأضواء على ما وقع في مفهوم الجهاد من أخطاء في ضوء كتابات المنحرفين في مفهوم الجهاد ، وتصحيحها، في ضوء القرآن ، والسنة ، والتراث الإسلامي .

الكلمات المفتاحية : الجهاد - انحراف الفهم – تصحيح المفاهيم - التحريف – التشويه.

Problems about the concept of jihad in Islam between deviation of understanding and correction of concepts critical analytical study

Mohammed Abbas Abdul Rahman Al-Mughni

Department of Interpretation and Qur'anic Sciences, Faculty of Islamic and Arab Studies for Boys, Al-Azhar University, Cairo, Egypt.

E-mail: **Mohamed3abas@azhar.eg**

Abstract:

The term jihad is one of the most distorted and distorted Islamic terms, both old and new, sometimes from his enemies, and sometimes from some ignorant of his sons, and those who spoke in jihad were distorting between a hardliner and a gal, or dry and lenient, until they distorted this original concept with intent or unintentionally; From here, from the religious responsibility and the duties assigned to Al-Azhar and his men on correcting Islamic concepts, this research was to discuss one of the issues of the day under the title: I wanted to highlight the mistakes that occurred in the concept of jihad in the light of the writings of deviants in the concept of jihad, and correct them, in the light of the Qur'an, Sunna, and Islamic heritage.

Keywords: Jihad - Deviation of understanding - Correction of concepts - distortion - distortion.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي يستفتح بحمده كل كتاب ، ويصدر بذكره كل خطاب ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً.،، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسله ، أرسله ربه شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. **أما بعد،،،،،**

فيُعد مصطلح الجهاد من أكثر المصطلحات الإسلامية التي تعرضت للتحريف والتشويه قديماً وحديثاً ، تارة من أعدائه ، وتارة من بعض الجهلاء من أبنائه ، وكان الذين تكلموا في الجهاد بالتشويه ما بين متشدد وغال ، أو جاف ومتساهل ، حتى شوهوا هذا المفهوم الأصيل بقصد ، أو بغير قصد ؛ فصوروه تارة بأنه يرادف الإرهاب ، أو أنه يساوى القتال والحرب تارة أخرى ، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم .

وكان من نتائج هذا التفسير الخاطئ لمفهوم الجهاد أن ظهرت على الساحة الإسلامية طوائف متناحرة ، وجماعات متطرفة ، ترفع رايات الجهاد في غير ساحاتها المعروفة ، وتقاتل في غير ميادينها المشروعة ، وتخوض معارك لا تتحقق فيها شروط الجهاد المطلوبة .

وكان الخوارج هم أول من شوه مفهوم الجهاد قديماً ، فقتلوا الخليفة سيدنا عثمان بن عفان - ﷺ - ، وتبعهم فى فهمهم العقيم حديثاً جماعات التكفير والهجرة ، والجهاد ، والقطبيين ، والسروريين ، وأنصار بيت المقدس ، والدواعش ،، وغيرهم ممن سفكوا الدماء ، وهتكوا الأعرض ، وسعوا فى الأرض بالفساد ، وضيقوا على العباد ، وخربوا البلاد .

والغريب أن هؤلاء يزعمون أنهم ينطلقون في فهمهم للجهاد من استنباطاتهم من نصوص الوحي المقدسة ، ومن كتب التراث الإسلامي ،

مما سبب إشكالية في تراثنا الإسلامي العريق ، جعلت البعض يرميه بالتهم الكاذبة ؛ من أنه يدعو إلى التطرف ، والعنف ، والإرهاب ، وأنه منبع الأفكار التكفيرية ، والسلوكيات الإرهابية التي ظهرت بصورة فجة في الآونة الأخيرة .

من هنا وانطلاقاً من المسئولية الدينية والدعوية المنوطة بالأزهر الشريف ورجاله حول تصحيح المفاهيم الإسلامية ([1]) كان هذا البحث ليناقش قضية من قضايا الساعة تحت عنوان :

(إشكاليات حول مفهوم الجهاد في الإسلام بين انحراف الفهم وتصحيح المفاهيم دراسة تحليلية نقدية)

** **أسباب اختيار البحث** : من أهم أسباب اختيار البحث إضافة لما سبق :

١) بيان المفاهيم الخاطئة والمغلوطة المتعلقة بمصطلح الجهاد ، وتصحيحها لاعتقاد البعض خطأً أن ما تفعله الجماعات الإرهابية والتكفيرية جهاد في سبيل الله .

٢) رصد جانب من أسباب الانحراف الفكري المتعلقة بمفهوم الجهاد،وبيان آثارها، وكيفية مواجهتها .

([1]) وقد عقد الأزهر مؤتمراً بعنوان : (قراءة التراث الإسلامي بين ضوابط الفهم وشطحات الوهم) برعاية كريمة من الإمام الأكبر أ . د / أحمد الطيب شيخ الأزهر، وبرعاية من أ.د / رئيس جامعة الأزهر ، بكلية أصول الدين القاهرة فى ٢٠ .٢١ جماد الآخرة ١٤٣٩هـ / ٧ . ٨ مارس ٢٠١٨ م

٣) الرد على الإشكاليات التي شوهت مفهوم الجهاد؛لنبين زيف الدعاوى المعادية للتراث الإسلامي.

** **هدف البحث** :

أردت بهذا البحث أن أُسلطَ الأضواء على ما وقع في مفهوم الجهاد من أخطاء في ضوء كتابات المنحرفين في مفهوم الجهاد ، وتصحيحها، في ضوء القرآن ، والسنة ، والتراث الإسلامي لأمرين:

الأول: لنرد ما ألصق بالتراث الإسلامي من كونه سبيلاً للتطرف ، ومنبعاً للأفكار التكفيرية والجهادية **الثاني:** وليستفيد بها الدعاة إلى الله ، لتكون دعوتهم على بصيرة فيما يطرحون على المدعوين .

** **منهج البحث** :

موضوع البحث (إشكاليات حول الجهاد في الإسلام دراسة تحليلية نقدية) ومن ثم استخدمت المنهج التحليلي : " وهو منهج يقوم علي دراسة الإشكاليات العلمية المختلفة تفكيكًا ، أو تركيبًا ، أو تقويمًا "([1]) . والمنهج النقدي ([2]): وهو تمييز جيد الكلام من رديئه ، وصحيحه من فاسده ، مع الالتزام بالأصول والقواعد المنهجية المتفق عليها في جل مناهج البحث العلمي . والمنهج التوثيقي: " وهو الذي يقوم على توثيق

([1]) أبجديات البحث في العلوم الشرعية ، د/ فريد الأنصاري ، ص ٩٥، نشر دار الفرقان ، الطبعة الأولي ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

([2]) انظر : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، إحسان عباس ، ص ٥، طبعة دار الثقافة بيروت ، طبعة ٤، عام ١٩٨٣ م .

النصوص قبل اعتمادها مصدرًا للحكم "([1]). وفى ضوء هذه المناهج العلمية جاءت الدراسة تحليلية نقدية لمفهوم الجهاد فى الإسلام .

** **خطة البحث** : وقد اقتضت المنهجية العلمية أن أقسم البحث للمباحث التالية :

المبحث الأول : **جذور الإشكاليات حول الجهاد وعلاقتها بالتراث الإسلامي** .

المبحث الثاني : **جذور الإشكاليات حول الجهاد في الواقع المعاصر وعلاقتها بالتراث** .

المبحث الثالث :**صور من الإشكاليات حول الجهاد في التراث الفكري المنحرف ونقدها**.

المبحث الرابع : **صور من الإشكاليات حول الجهاد في النصوص الشرعية المقدسة ونقدها**.

المبحث الخامس : **إشكاليات حول علاقة الجهاد بالدعوة الإسلامية ونقدها**.

المبحث السادس : **المفاهيم الصحيحة للجهاد في ضوء الكتاب والسنة والتراث الإسلامي** .

([1]) مناهج البحث العلمي وضوابطه في الإسلام –د/ حلمي عبد المنعم صابر ، ص٢٦– مكتبة الإيمان– ط٢– ١٤٣٥هـ –٢٠١٤م

المبحــث الســابع : صــــور وآليــات تطبيــق الجهــاد في الوقــع المعاصـر .

ثم الخاتمة وبها : أبرز النتائج والتوصيات ، ثم المراجع والفهرس.

د / محمد عباس عبدالرحمن

المبحث الأول:

جذور الإشكاليات حول الجهاد وعلاقتها بالتراث الإسلامي .

فى هذا المبحث أعرض لجذور الإشكاليات ، والمفاهيم المنحرفة حول الجهاد في الإسلام، وأسبابها ، من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول: سوء فهم النصوص الشرعية :

من خلال مطالعتنا لكتب التراث الإسلامي بحثاً عن جذور الإشكاليات والانحرافات الفكرية والسلوكية حول الجهاد في الإسلام ، ندرك أنها لم تظهر إلا في مدة حكم سيدنا الإمام على ﷺ . وتعود جذورها الأولى إلى الخوارج ([1]) " فكان أول من شوه الجهاد الخوارج الذين قتلوا سيدنا عليًا ﷺ . بعد أن قاتلوه ([2])، ثم قتلوا سيدنا عثمان ﷺ . ثم جاء خوارج هذا

([1]) الخوارج : ويسمون بالحرورية ، والشراة ، والمحكمة ، والنواصب ، والمارقة ، وسموا خوارج لأنهم خرجوا على الإمام علي ﷺ لكن يبدو أن مؤرخي الفرق حددوا للخوارج مفهوماً عاماً وهو أن : " كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً ، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الخلفاء الراشدين أو كان بعدهم على التابعين أو على الأئمة في كل زمان " وعلماء الفقه الإسلامي يسمونهم " البغاة " والخوارج بهذا الوصف مستمرون في كل وقت ، ما دام يوجد من يخرج على رؤساء الحكومات . انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، الأشعري ، ١/ ٨٤ ، المكتبة العصرية ، ط ١، ٢٠٠٥م ، والملل والنحل، الشهرستاني ١ / ١١٤ ، مؤسسة الحلبي .

([2]) وقد أكد ذلك الإمام البغدادى فقال: " ذكرُ المحكمة الأولى مِنْهُم يُقَال للخوارج محكمَة وشراة وَاخْتلفُوا فِي أول من تشرى مِنْهُم فَقيل عُرْوَة بن حدير أَخُو مرادس الخارجي وَقيل أولهم يزِيد بن عَاصِم المحاذى وَقيل رجل من ربيعَة من بنى يشْكر ==

العصر ، فشوهوا مفهوم وصورة الجهاد من جديد ، حين . زعموا الجهاد . في مدن المسلمين ، ودمروا المساكن ، وأحرقوا الممتلكات ، وقتلوا الشيوخ والنساء والأطفال ، فانخدع كثير من الناس بخطاباتهم الحماسية ، وتورط عدد من الشباب ، فحملوا هذا الفكر الخارجي وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا ." . (1)

وكان هذا الانحراف الفكري لهذه الاتجاهات ، والجماعات المنحرفة " نتيجة انحراف سابق في تصورها العقدي والفقهي وأعنى فهمها الخاطئ حول مفهوم الإيمان بالله كأصل ، والأعمال كفرع ، وكيف ضلت حين تشبثت ببعض ظواهر النصوص ، وأدارت ظهرها لظواهر نصوص أخرى

==

كَانَ مَعَ على بصفين فَلَمَّا رأى اتِّفَاق الْفَرِيقَيْنِ على الْحكمَيْنِ اسْتَوَى على فرسه وَحمل على أَصْحَاب مُعَاوِيَة وَقتل مِنْهُم رجلا وَحمل على أَصْحَاب على وَقتل مِنْهُم رجلا ثمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوته أَلا إنى قد خلعت عليا وَمُعَاوِيَة وبرئت من حكمهمَا ثمَّ قَاتل أَصْحَاب على حَتَّى قَتله قوم من همذان ثمَّ إِن الْخَوَارِج بعد رُجُوع على من صفّين الى الْكُوفَة انحازوا إلى حرورا وهم يَوْمئِذٍ اثْنَا عشر ألفا وَلذَلِك سميت الْخَوَارِج حرورية".الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، البغدادي ، ص٥٦ ، دار الآفاق الجديدة – بيروت طبعة: ثانية، ١٩٧٧م .

(1) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٩٧) شوال ١٤٣٣ هـ الفرق بين الجهاد والإرهاب ج ٩٧، ص ٢٣٦.

تعارضها وتدعو إلى النقيض مما فهموه وتشبثوا بـه من بعض النصوص القرآنية . ". ([1])

فـيمكن التـأريخ للانحـراف الفكـري حـول مفهـوم الجهـاد بعصـر الإمـام على ، والمسألة التي أدت لهذا الانحراف هي مسألة الإيمـان والكفـر والتـي لـم يسـتطع الخـوارج تحريرهـا تحريـراً صـحيحًا يتماشـى مـع مفهـوم الإيمـان والكفر عند أهل السنة والجماعة .

فكان للخـوارج نظـرة مخالفـة فـى بيـان مفهـوم الإيمـان والكفـر اعتمـدوا فيها على ظواهر بعض النصوص الشرعية ، وغفلوا عن النصوص الأخرى ، التــي تتعـارض معهـا ، أو تخصصـهـا ، أو تنسـخها ، فكـانوا كمـا يقـول عنهم الإمام / أبو زهرة – رحمه الله– " إنَّهم ليشْبِهون في استِحْواذ الألفاظ البرَّاقة على نفوسهم، واستيلائها على مداركِهم اليعقوبيِّين (فرقة نصرانيَّة)الَّذين ارتكبوا أقسى الفظائع في الثَّورة الفرنسيَّة، فقد استوْلت علـى هؤلاء ألفاظ : (الحرية ، والمسـاواة ، والإخـاء)، وباسـمها قتلـوا النَّـاس، وأهرقـوا الـدماء، وأولئِـك اسـتولت علـيهم ألفـاظ (لا حكـم إلا لله) و(البـراءة)، وباسمها أباحوا دِماء المسلمين، وخضبوا البلاد بهـا، وشنُّوا فـي كلِّ مكـان غـارات، وكانـت الحماسـة وقـوَّة العاطفـة ميـزةَ اليعقـوبيين والخـوارج ."([2]) فيعود السـبب الأساسـي وراء ظهـور الانحـراف الفكـري حـول الجهـاد عنـد الخوارج لسوء فهمهم للنص الشرعي ، مما تولد عنه آثار فكريـة منحرفـة ،

([1]) خطـورة التكفيـر ، الإمـام الأكبـر د/ أحمـد الطيـب ، ص ١٠٠ مـن أعمـال مـؤتمر الأزهر العـالمي لمواجهـة التطـرف والإرهـاب سلسلة مجمـع البحـوث الإسـلامية السـنة السابعة والأربعون الكتاب الثالث ١٤٣٧هـ / ٢٠١٥ م .

([2]) تاريخ الجدل، الشيخ محمد أبو زهرة، ص:١٤٦. ط دار الفكر العربي.

امتلأت بها كتب التراث ، والذي كان مرجعاً للجماعات المتطرفة حديثاً ، وكان له أثره العملي والسلوكي فى التوجه نحو الخروج على الحكام ، وتكفير المجتمع .

المطلب الثاني : وجود تراث الغلو والتشدد في الفكر الإسلامي

من أسباب الانحراف المتعلقة بالجهاد تراث الغلو والتشدد في الفكر الإسلامي ، فبالبحث والدراسة العميقة للتراث والواقع تبين للعلماء أن " هناك سبباً آخراً أعمق في التشجيع على التكفير والإغراء به واستسهال الخطب في شأنه ؛ وهو هذا التراث الطويل المتراكم الذي يمكن أن نطلق عليه تراث الغلو والتشدد في الفكر الإسلامي هذا التراث الذي يعبر منذ نشأته عن انحراف واضح عن عقائد الأمة وجماهيرها وهو في كل الأحوال تراث ينتسب بصورة أو بأخرى إلى تراث الخوارج الذين حذر منهم النبي ـ ﷺ ورفضتهم جماهير الأمة الإسلامية قديما وحديثاً . ". (1)

ويؤكد العلامة / أبوشُهبة أن تراث الغلو والتشدد في الفكر الإسلامي يرجع إلى " تفسيرات الباطنية والملحدة وأصحاب المذاهب المبتدعة: كالشيعة، والمعتزلة، وأضرابهم ، إذ قد نحوا بالتفسير ناحية مذاهبهم، وفي سبيل ذلك قد حرفوا بعض الآيات وخرجوا بها عن معانيها المرادة، وعن قواعد اللغة، وأصول الشريعة وصار الواحد منهم كلما لاحت له شاردة من

(1) خطورة التكفير ، الإمام الأكبر د/ أحمد الطيب ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

بعيد اقتنصها، أو وجد موضعا له فيه أدنى مجال لإظهار بدعته وترجيح مذهبه سارع إليه . "([1]).

وفى سبيل تأييد مذاهبهم وقعوا في الخطأ " فأخطؤوا في الدليل والمدلول فاعتقدوا مذهباً يخالف الحق الذي عليه الأمة الوسط الذين لا يجتمعون على ضلالة، كسلف الأمة وأئمتها، وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على آرائهم . فتارة يستدلون بآيات على مذهبهم ولا دلالة فيها، وتارة يتأولون ما يخالف مذهبهم بما يحرفون به الكلم عن مواضعه، ومن هؤلاء فرق الخوارج، والروافض، والجهمية ، والمعتزلة، والقدرية، والمرجئة، وغيرهم." .([2])

وفى تراث الخوارج ، والباطنية ، والمعتزلة ، وغلاة الشيعة ، وغيرهم من الفرق المنحرفة نجد فيها " من يذكر في كتابه وكلامه من تفسيرهم ما يوافق أصولهم التي يعلم ويعتقد فسادها ولا يهتدي لذلك.ثم إنه لسبب تطرف هؤلاء وضلالهم دخلت الرافضة الإمامية، ثم الفلاسفة، ثم القرامطة وغيرهم فيما هو أبلغ من ذلك، وتفاقم الأمر في الفلاسفة والقرامطة والرافضة([3])، فإنهم فسروا القرآن بأنواع لا يقضي العالم منها عجبه

([1]) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، العلامة / محمد أبو شُهبة ، ص ٧٥ ، مكتبة السنة الطبعة: الرابعة.

([2]) مقدمة في أصول التفسير ،ابن تيمية ، ص ٣٤ ، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان الطبعة: ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م.

([3]) الفلاسفة: يقولون أن كلامه تعالى فيض فاض منه على نفس زكية شريفة فأوجب لها ذلك الفيض تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته منه، فتتصور الملائكة تخاطبها وتسمع خطابهم، وهو عندهم كلام الله ولا حقيقة له وإنما ذلك من القوة ==

كقولهم فى قوله تعالى {فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ} سورة التوبة: ١٢ طلحة والزبير." ([١]) .

ومن أوضح الأمثلة على ذلك " أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى المعتزلى المتوفى (سنة ٥٣٨ هـ) والذى فسَّر القرآن الكريم تفسيراً

==

الخيالية الوهمية، وهذا كلام الفارابي وابن سينا والطوسي وغيرهم وينسبون ذلك إلى أرسطو . انظر: مقالات الإسلاميين: الأشعري (١٥٣/١) القرامطة : الصنف الثامن عشر من الرافضة، تنسب إلى شخص اسمه حمدان بن الأشعث، ويلقب بقرمط لقصر قامته وساقيه، وهو من خوزستان في الأهواز، ثم رحل إلى الكوفة، وقد اعتمدت هذه الحركة التنظيم السري العسكري، وكان ظاهرها التشيع لآل البيت والإنتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق. وزعموا أن محمد بن إسماعيل حي إلى اليوم لم يمت ولا يموت حتى يملك الأرض، وأنه هو المهدي الذي تقدمت البشارة به . انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين : أبو الحسن الأشعري (٤٠/١)الفرق بين الفرق : البغدادي ، ص(٢٦٦) وما بعدها بتصرف . الرافضة : صنف من الشيعة، ويطلق على تلك الطائفة ذات الأفكار والآراء الاعتقادية الذين رفضوا خلافة الشيخين، وأطلقت هذه التسمية على الرافضة لأسباب كثيرة: منها أنهم رفضوا مناصرة زيد بن علي، أو لرفضهم أئمتهم وغدرهم بهم، أو لرفضهم الصحابة وإمامة الشيخين، وهناك تعليل لبعض الشيعة وهو أنهم سموا بهذه التسمية من قبل خصومهم للتشفي منهم، ومن مبادئهم: أن الخلافة في علي وذريته من بعده بنص من النبي (صلى الله عليه وسلم) وأن خلافة غيرهم باطلة، وأنهم لا يجوزون الصلاة خلف الفاسقين، وإنما يصلون خلف الفاسقين تقية ثم يعيدون صلاتهم . انظر: مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الأشعري (٣٣/١ و٦٣)،

([١]) مقدمة في أصول التفسير ،ابن تيمية ، ص ٣٦ ، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان الطبعة: ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م.

عظيماً جداً لولا ما فيه من نزعات الاعتزال، وهو أشمل ما وصل إلينا من تفاسير المعتزلة. (1)

ومن نماذج الانحراف عنده أن الزمخشرى استنبط من قوله تعالى : (رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) آل عمران١٩٢.أن أصحاب الكبائر والعصاة مخلدون في النار ، ولا شفاعة لهم فقال : " فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ فقد أبلغت في إخزائه. .. وَما لِلظَّالِمِينَ اللام إشارة إلى من يدخل النار وإعلام بأنّ من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها . "(2)

وقد بين الإمام / السيوطى (المتوفى: ٩١١هـ) وجه استدلال المعتزلة بالآية ، وبين فساده بقوله " قوله تعالى: {رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ} .استدل به المعتزلة على أن مرتكب الكبائر غير مؤمن ، لأنه يدخل النار للأخبار الدالة على ذلك ، ومن دخل النار يخزي لهذه الآية ، والمؤمن لا يخزي لقوله: {يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ} . وجوابه حمل الإدخال هنا على الخلود، أخرج ابن أبي حاتم عن أنس في هذه الآية: من تخلد في النار فقد أخزيته، وأخرج عبد عن سعيد بن المسيب قال هذه خاصة لمن لم يخرج. . "(3) ووجه الانحراف عند هؤلاء أنهم جعلوا مذاهبهم الباطلة هي الأصل ، وحاولوا تأييدها بلى عنق

---

(1) التفسير والمفسرون ، د /محمد حسين الذهبي ، ١ /٢٧٧ ، ط مكتبة وهبة، القاهرة.

(2) الكشاف ، الزمخشري ، ١/ ٤٥٥، دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

(3) الإكليل في استنباط التنزيل ، السيوطي ، ص ٧٥ ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م

النصوص الشرعية ، وتحميلها ما لا تتحمله ، فأنتج ذلك العمل تراثاً مغشوشاً متشدداً ، وفكراً معوجاً ، وسلوكاً متطرفاً.

وكان السبب الرئيس في ظهور هذا التراث المغشوش كما يقول ابن قتيبة أن هؤلاء " فَسَّرُوا الْقُرْآنَ بِأَعْجَبِ تَفْسِيرٍ، يُرِيدُونَ أَنْ يَرُدُّوهُ إِلَى مَذَاهِبِهِمْ، وَيَحْمِلُوا التَّأْوِيلَ عَلَى نِحَلِهِمْ. " ([1]) .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل احتدم الْأَمر أَكثر بظهور الفرق الغالية ، والجماعات المتطرفة ، والمدارس المتشددة " وتفاقم الصراع بَين هَذِه الْمدَارِس، وَكَانَ لكل مِنْهَا عُلَمَاء وحجج ونظرات، وأُلفت فِي ذَلِك كتب دَافع بهَا كل أَصْحَاب مَذْهَب عَن مَذْهَبهم." ([2]) .

وتراث الغلو والتشدد فى الفكر الإسلامي لا يزال موجودًا ، يرجع إليه ، وينهل منه منحرفو الفهم من الجماعات المتطرفة المعاصرة ، ووجه الانحراف أنهم اعتمدوا هذا التراث كمصدر من أهم مصادر الاستدلال على ما يذهبون إليه من الآراء المغلوطة ، والأفكار المنحرفة ، والتوجهات المتطرفة .

المطلب الثالث : سوء تنزيل النصوص الشرعية على الواقع :

فمن أسباب الانحراف الفكري والسلوكي حول موضوع الجهاد سوء تنزيل النصوص الشرعية على الواقع والترويج للمفاهيم الخاطئة

([1]) تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة ، ١١٩ ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

([2]) مقدمة المحقق لكتاب تأويل مختلف الحديث، مُحَمَّد محيي الدِّين الْأَصْفَر، ص ١٧.

والمتوارثة عبر الأفكار المنحرفة كمصطلح (دار الحرب ودار السلام ، الحاكمية ، والولاء والبراء ، والخلافة) حيث يتم الترويج لهذه المفاهيم والوقوف عندها، وعدم النظر فيما سواها ويتم ضخ هذا " الفكر من خلال النبش في الكتب والفتاوى وإظهار التفسيرات الأكثر تشدُّدًا للنصوص وإنزالها على وقائع العصر ومن ثَمَّ إصدار الأحكام. " ([1]) .

وكان من انحرافهم وسوء فهمهم التحايل على النصوص الشرعية بالباطل لتتوافق مع الأصول الفكرية التى صاغوها لمذهبهم فلووا عنق النصوص لتتوافق مع أصولهم ، وهاك أمثلة صارخة من تاريخ الفرق وأفكارهم وحيلهم توضح هذا المعنى وتبين مدى انحراف هؤلاء في الفهم ، وكذا في تنزيل النصوص على الواقع ، من ذلك " أن الجهمية ([2]) أخرجت التعطيل فى قالب التنزيه. وأخرج الروافض ([3]) الإلحاد والكفر،

([1]) تجنيد الارهابيين عبر مواقع التواصل الاجتماعي – د. حسام محمد نبيل بحث على موقع: http://www.carjj.org

([2]) الجهمية : فرقة من فرق الجبرية، أتباع جهم بن صفوان ظهرت بدعته بترمذ، وقتله سلم بن أحوز المازني بمرو، ومن أقوالهم: أنكروا الإستطاعات كلها، وزعموا أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط، وأن الكفر هو الجهل به فقط، وقالوا لا فِعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز . انظر: الفرق بين الفرق : البغدادي، ص(١٩٩)، الملل والنحل: الشهرستاني (٨٦/١) بتصرف .

([3]) الراوفض: وإنما سموا روافض لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر. وهم مجمعون على أن النبي ﷺ نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه وأظهر ذلك وأعلنه، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبيﷺ، وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف، وأنها قرابة، وأنه جائز للإمام في حال التقية أن يقول: أنه ليس
==

والقدح فى سادات الصحابة وحزب رسول الله ﷺ، وأوليائه وأنصاره، فى قالب محبة أهل البيت، والتعصب لهم، وموالاتهم. وأخرجت الاتحادية (١) أعظم الكفر والإلحاد فى قالب التوحيد.وأخرجت الجهمية جحدهم لصفات كماله سبحانه فى قالب التوحيد. وأخرجت الخوارج قتال الأئمة، والخروج

==

بإمام، وأبطلوا جميعاً الاجتهاد في الأحكام، وزعموا أن الإمام لا يكون إلا أفضل الناس ووزعموا أن علياً ﷺ كان مصيباً في جميع أحواله وأنه لم يخطئ في شيء من أمور الدين إلا الكاملية أصحاب أبي كامل فإنهم أكفروا الناس بترك الاقتداء به، وأكفروا علياً بترك الطلب، وأنكروا الخروج على أئمة الجور، وقالوا: ليس يجوز ذلك دون الإمام المنصوص على إمامته، وهم سوى الكاملية أربع وعشرون فرقة ، وهم يدعون الإمامية لقولهم بالنص على إمامة علي بن أبي طالب. راجع مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري ، ج١، ص٢٥:٨٣، المكتبة العصرية، ط. الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

(١) الاتحادية والحلولية : أصحاب الحلول : هم الذين يدعون حلول روح الله في ذوات المخلوقين، وغرضهم جميعا القصد إلى إفساد القول بتوحيد الخالق، والحلولية في الجملة فرق كثيرة، وأغلبها يرجع إلى غلاة الرافضة، ومنهم: السبئية، والبيانية، والجناحية، والخطابية، والنميرية، والمقنعية، والرزامية، والبركوكية، والحلمانية، والحلاجية، والعذافرة، وبعض الخرمية، وأول من قال بهذه الضلالة السبابية من الرافضة لدعواهم أن عليا صار إلهًا حين حل روح الإله فيه . انظر: الفرق بين الفرق: البغدادي (٢٤١ و ٢٤٥) وما بعدها، والتبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين: طاهر بن محمد الأسفراييني، ص(١٣٠) الناشر: عالم الكتب – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٨٣م، بتصرف . الاتحادية القائلون بوحدة الوجود: ذهبوا إلى أن كل كلام في الوجود كلام الله حقه وباطله، وحسنة وقبيحة، والسب والفحش والشتم وأضداده كله عين كلام الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرًا ؟ انظر: مقالات الإسلاميين: الأشعري (١٥٣/١) وما بعدها،

عليهم بالسيف فى قالب الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر. ([1]). هذه نماذج من الانحرافات الفكرية المتكررة عند أصحاب الفكر المتطرف ، والتي تقلب الحق باطلاً ، وتروج لما تراه متماشياً مع فكرها ومذهبها ، مهما خالف النصوص الثابتة المتواترة .

([1]) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية ، ٢ / ٨٠ ، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية.

المبحث الثاني : جذور الإشكاليات حول الجهاد في الواقع المعاصر وعلاقتها بالتراث

المطلب الأول : جذور الإشكاليات حول الجهاد في الواقع المعاصر :

وفي إطار حديثنا عن جذور الإشكاليات حول مفهوم الجهاد في العصر الحديث وعلاقتها بالتراث لا يغيب عن بالنا أنه إذا كانت فرقة الخوارج قد اندثرت وأصبحت في ذمة التاريخ ، واختفى فكرها التكفير الجهادى المسلح من العالم العربي والإسلامي فترة طويلة من الزمان، إلا أنه ظهر مرة أخرى في العصر الحديث ، في صورة جماعات الجهاد ، والتكفير والهجرة (١) عقب أحداث واعتقالات سنة ١٩٦٥ م ، مما جعلهم يعلنون كفر الحاكم ، ووجوب الخروج عليه ؛ كرد فعل لما عانوه .(٢)

ويرى بعض الباحثين في الفكر الإسلامي والعربي القديم والمعاصر أن جذور الانحراف الفكري في مفهوم الجهاد لدى الجماعات المتطرفة المعاصرة من (الجهاد ، والتكفير ، والدواعش ، والقطبيين ، والسرورين ،

---

(١) جماعة التكفير والهجرة : نشأت داخل السجون المصرية بعد اعتقالات سنة ١٩٦٥م ، وهي جماعة غالية أحيت فكر الخوارج بتكفير كل من ارتكب كبيرة وأصر عليها وتكفير الحكام بإطلاق ، وتكفر المحكومين لرضاهم بهم ، وتكفر العلماء لعدم تكفيرهم للحكام. كما أن الهجرة هي العنصر الثاني في تفكيرهم ، ويقصد بها اعتزال المجتمع الجاهلي. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١ / ٣٣٣ ، دار الندوة العالمية الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ .

(٢) انظر : خطورة التكفير ، الإمام الأكبر د/ أحمد الطيب ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .بتصرف .

وأنصار بيت المقدس) يعود لأقدم من هذا التاريخ بنحو ما يقرب من ربع قرن من الزمان([1]) ، وإن اختلفت المصادر الفكرية التراثية التي كانت أساساً لفكر هذه الجماعات .

وأيما كان الأمر فإنه " ومنذ نشأة تنظيم الجهاد في مصر عام١٩٦٦م، فإن التنظيم لم يكتب تأصيلاً فكرياً ، وفقهياً ، وعقائدياً مفصلاً للاستراتيجية التي تبناها التيار وظل هكذا حتى عام ١٩٨٠م عندما كتب محمد عبد السلام فرج كتابه (الفريضة الغائبة) ([2]) .

ومنذ أن وضع / محمد عبدالسلام فرج أحد أفراد جماعة الإخوان المسلمين ، ومؤسسي تنظيم الجهاد كتابه «الفريضة الغائبة» وحسب

([1]) يمكن التأريخ له بعام ١٩٥٨ م مع تأسيس أول مجموعة جهادية مصرية على يد شاب مصري عشريني يدعى/ نبيل البرعي سنة ١٩٥٨ حين وجد على سور الأزبكية في مصر كتيباً صغيراً يضم فتاوى جهادية لابن تيمية منها هذه الفتوى، فرأى في ابن تيمية جهادياً لا سلفياً فقط، وطار بها مؤسساً أولى هذه المجموعات، التي لم تنتظم في تنظيم واحد إلا مرتين، *أولاهما* سنة ١٩٧٩ مع محمد عبد السلام فرج ، *وثانيهما* مع أيمن الظواهري وتنظيم الجهاد منذ الثمانينيات .حتى انضمامه إلى القاعدة سنة ١٩٩٧م فهم التراث ومشاكل الجهاديين:ابن تيمية والسلفية الجهادية نموذجاً ،هاني نسيرة ص٦٠ ، مصر .مركز دراسات الوحدة العربية .

([2]) ظل كتاب الفريضة الغائبة مؤثرا على تيار الجهاد حتى اليوم، وطبع عدة طبعات، أولها بواسطة محمد عبدالسلام في صيف١٩٨٠م قبيل اغتيال السادات مما جعل الكتاب الركيزة الفكرية الأساسية لإغتيال السادات و بالتالي اعتبر دليلا هاما ضد محمد عبدالسلام في قضية اغتيال السادات أفضى للحكم بإعدام مؤلف الفريضة الغائبة. انظر: عرض كتاب الفريضة الغائبة.الأساس الفكرى الأول لتنظيم الجهاد ، عبدالمنعم منيب جريدة الدستور ٣٠ يناير٢٠٠٨ م.

الدراسات الحديثة المتعلقة بالجماعات الحركية في مصر فإن هذا الكتاب يُعد " بمثابة الرافد الفكري والأساسي للتنظيم، وهذا الكتاب مثل البنية الأساسية التي قامت عليها كل عمليات العنف التي قام بها التنظيم."([1]) .

المطلب الثاني : علاقة الأفكار الجهادية المعاصرة المنحرفة بالتراث :

تعددت المصادر التراثية والفكرية للجماعات المتطرفة قبل كتاب الفريضة الغائبة، فقد أكدت البحوث العلمية على أن الجماعات المتطرفة وخاصة " تيار الجهاد في مصر قبل كتاب / محمد عبدالسلام فرج كان يعتمد في تأصيل أفكاره على الكلام الشفهي الذي يتناقله أعضاء الجهاد بعضهم من بعض مع الاستعانة بأجزاء من كتب فقه ، وتفسير قرآن ، وغيرها، مثل فتوى ابن تيمية عن التتار ([2]) ومثل تفسير ابن كثير لآية (أفحكم الجاهلية يبغون) ، وكلامه في كتابه البداية والنهاية عن التتار وحكمهم، و كذا تفسير سيد قطب لآيات الحكم والسياسة مثل تفسيره لقوله تعالى : (إن الحكم إلا لله) . " ([3]).

([1]) انظر : بحث الفريضة الغائبة.. كتاب أسس لفكر التنظيم ،عمر عبدالعزيز الشحات ١٧/ ١١/ ٢٠٠٧ م موقع المصري اليوم.

([2]) سأتناول الفتوى بالبحث ؛ لأوضح مدى الانحراف الفكري لدى التكفير والهجرة حتى فى نقلهم لكلام التراث عن ابن تيمية .

([3]) ومما يدل على صحة هذا الكلام أن مؤلف كتاب الفريضة الغائبة اقتبس عنوان الفصل الثانى أو الفقرة الثانية فى كتابه من عنوان أحد كتب سيد قطب "المستقبل لهذا الدين".انظر الجهاد الفريضة الغائبة محمد عبدالسلام فرج ، ص ٧ الطبعة المصرية .

وكان أعضاء الجهاد يقومون من حين لأخر بتصوير أو طباعة كميات من هذه الأجزاء التي يحتاجونها من كتب (ابن تيمية ، وابن كثير ، وسيد قطب) وغيرهم للاستدلال على أفكارهم ثم يقومون بتوزيعها إلى أن جاء محمد عبد السلام فجمع كل أفكار الجهاد الشفهية وضم إليها كل أقوال العلماء التي يستدل بها الجهاديون وصاغها صياغة متكاملة نسبياً بمقاييس الفكر الجهادى في ذلك الوقت. ([1]). فالمصادر التراثية للفكر المنحرف حول الجهاد فى العصر الحاضر تمثلت فيما يلي :

١) فتاوى ابن تيمية الموجودة فى كتبه خاصة فتوى ماردين فى (الفتاوى الكبرى) .

٢) كتابات سيد قطب خاصة (فى ظلال القرآن) (المستقبل لهذا الدين)(ومعالم على الطريق).

٣) بعض الكتابات التفسيرية والأقوال الفقهية التي كُتبت في ظروف غير الظروف التي كتب فيه منظرو الجهاد ([2]) حديثاً ونقلوها كما هي وحاولوا أن يطبقوها على الواقع المصري المعاصر .

المطلب الثالث :إشكالية فهم التراث لدى الجماعات الجهادية المعاصرة ابن تيمية نموجاً :

([1]) انظر : كتاب الفريضة الغائبة..الأساس الفكرى الأول لتنظيم الجهاد ، عبدالمنعم منيب ج الدستور ٣٠ يناير ٢٠٠٨ م.

([2]) راجع المصادر والمراجع التي اعتمد عليها محمد عبدالسلام فرج فى صياغة كتابه الفريضة الغائبة تدرك ذلك جيداً.

يُرجع الكثير من الكتاب والباحثين سبب انحراف الجماعات الجهادية والتكفيرية المعاصرة إلى اعتمادها على تراث وكتابات ابن تيمية المتشددة حول فتاوى الجهاد حيث ورد " ذكر ابن تيمية في أول نص جهادي وهو الفريضة الغائبة لمحمد عبد السلام فرج خمساً وعشرين مرة " ([1]).

ويوضح د / محمد عمارة سبب الانحراف في الاستدلال بالتراث ووقائع التاريخ عند الجهاديين فيقول : " إن الفكرة المحورية والدليل الأعظم الذى استند إليه كتاب (الفريضة الغائبة) فى الحكم بكفر حكام البلاد الإسلامية المعاصرين ، وبوجوب قتالهم ، واستباحة أموالهم كغنائم ، هى فتوى ابن تيمية فى حكم قتال التتار الذين كانوا يحكمون مدينة (ماردين). "([2])

وحقيقة الأمر أنه " رغم ما يثبته التحليل الإحصائي هنا من كونه الأكثر وروداً وتكراراً في كتابات مرجعياتها الجماعات الجهادية منذ هذا النص الأول وصولاً إلى الجيل الحالي الذي يمثل الجيل الثالث من منظّري السلفية الجهادية بتنظيماتها المختلفة، وأنه ركنٌ وعلامة الإسناد السلفي الرئيس عند هذه التيارات فكراً وتنظيماً، فإن ابن تيمية لم يكن مرجعاً آمراً وملهماً ومقلداً لدى السلفية الجهادية، بل كان موظفاً لإلباسها الصبغة السلفية والتأصيلية، فتم تأويله وتفسيره وحرفه بعيداً من دلالات خطابه الأصلية، ولكن هذا الحضور والورود الكثيف والمتكرر له جعل البعض

([1]) انظر : فهم التراث ومشاكل الجهاديين:ابن تيمية والسلفية الجهادية نموذجاً ، هاني نسيرة – ص ٦٠ .

([2]) الفريضة الغائبة جذور وحورات دراسات ونصوص د/ محمد عمارة ، ص ٥٦ ، طبعة نهضة مصر الأولى ٢٠٠٩ م

يتصورونه مرجعها الأول، ويحمِّلون تبعات ممارساتها العنيفة، سواء في ذلك تنظيمات الجهادية القُطرية إلى تنظيمات الجهادية المعولمة. " ([1])

وجه الإشكال والانحراف: ويوضح أحد الباحثين المعاصرين مصدر الخطأ والانحراف في قضية الجهاد على يد/ محمد عبد السلام فرج عام (١٩٧٩ م) ورسالته (الفريضة الغائبة) التي انطلقت من مفهوم الدار وقتال العدو القريب بحكم تحول الدار (الدولة) لدار كفر استناداً إلى فتوى ابن تيمية الشهيرة في التتار أو أهل ماردين، فيقول : " وقف الاستدعاء الأول لابن تيمية عند محمد عبد السلام فرج على آراء متناثرة ومتفرقة في وصف التتار، وموالاتهم غير المسلمين، إسقاطاً على الحالة المصرية بعد معاهدة السلام مع إسرائيل سنة ١٩٧٨ وكذلك غيرها من النصوص التي تنص على تكفير الحاكم بغير ما أنزل الله، وأحكام الديار، وهي الدولة بمفهومنا المعاصر والحديث، وقتال الباغين والخارجين عن شرع الله، اعتماداً على فتوى التتار التي لم ينتبه لوصف الدار المركبة فيها... ثم ينتهي محمد عبد السلام فرج إلى إسقاط كل ذلك على حكم الرئيس الراحل محمد أنور السادات وجواز حربه وقتله، ولو قتل بعض المسلمين تترُّساً.! "([2])

وقد تجاهل منظِّرو السلفية الجهادية واقعية ومقاصدية ابن تيمية في الشأن العام، وتبعهم في ذلك خصومهم، وعبره اتُهم بعضهم ابن تيمية ،

([1]) انظر : فهم التراث ومشاكل الجهاديين:ابن تيمية والسلفية الجهادية نموذجاً ، ص ٦٠ .

([2]) انظر : فهم التراث ومشاكل الجهاديين:ابن تيمية والسلفية الجهادية نموذجاً ، هانى نسيرة ، ص ٦٥ .

بينما نلاحظ أنه يرى أن الجهاد أوسع من القتال، عكس ما ذهب إليه منظِّرو السلفية الجهادية بدءاً من محمد عبد السلام فرج إلى غيره ، ويؤكد ابن تيمية أن ظهور الإسلام إنما يكون بالدعوة والبيان لا بالسنان. "([1]) .

تعليق وتحقيق ومناقشة : هذا هو السبب الجوهري فى الانحراف الفكري لدى الجماعات المتطرفة ، وهو سوء الفهم والاستدلال بالتراث والوقائع ، ويتمثل هذا فيما نقله صاحب أول نص تكفيري جهادى معاصر([2]) عن الفتاوى الكبرى لابن تيمية دون فهم لمقصوده أو تحليل لمراده ، وهذا ما يستدعى تحقيق الفتوى ومناقشتها وأصدائها وفهمها على وجهها كما يلى :

أولاً : نص فتوى ماردين للشيخ / ابن تيمية :

وسأنقل نص الفتوى عن ابن تيمية لنرى مدى التحريف فى النقل عن التراث ، والانحراف في الفهم عند الجهاديين والتكفيريين ، فقد جاء في الفتاوى" وَسُئِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ : عَنْ بَلَدِ " مَارِدِينَ " ([3]) هَلْ هِيَ بَلَدُ حَرْبٍ أَمْ بَلَدُ سِلْمٍ؟ وَهَلْ يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ الْمُقِيمِ بِهَا الْهِجْرَةُ إلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ أَمْ لَا؟ وَإِذَا وَجَبَتْ عَلَيْهِ الْهِجْرَةُ وَلَمْ يُهَاجِرْ وَسَاعَدَ أَعْدَاءَ الْمُسْلِمِينَ بِنَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ هَلْ يَأْثَمُ فِي ذَلِكَ؟ وَهَلْ يَأْثَمُ مَنْ رَمَاهُ بِالنِّفَاقِ وَسَبَّهُ بِهِ أَمْ لَا؟

([1]) انظر : فهم التراث ومشاكل الجهاديين: ، ص ٦٧ .

([2]) انظر : الجهاد الفريضة الغائبة ، محمد عبدالسلام فرج ، ص ٧ الطبعة المصرية .

([3]) ماردين : وهي المنطقة التي ولد فيها ابن تيمية وتقع فيها بلده حران قد استولى عليها التتار فى القرن السابع الهجري في حياة ابن تيمية وخرج منها هو وأهله وهو في السابعة من عمره.، وتقع اليوم جنوب تركيا .

الْجَوَابُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ دِمَاءُ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالُهُمْ مُحَرَّمَةٌ حَيْثُ كَانُوا فِي مَارِدِينَ أَوْ غَيْرِهَا، وَإِعَانَةُ الْخَارِجِينَ عَنْ شَرِيعَةِ دِينِ الْإِسْلَامِ مُحَرَّمَةٌ، سَوَاءٌ كَانُوا أَهْلَ مَارِدِينَ أَوْ غَيْرَهُمْ، وَالْمُقِيمُ بِهَا إنْ كَانَ عَاجِزًا عَنْ إقَامَةِ دِينِهِ وَجَبَتْ الْهِجْرَةُ عَلَيْهِ، وَإِلَّا اُسْتُحِبَّتْ وَلَمْ تَجِبْ وَمُسَاعَدَتُهُمْ لِعَدُوِّ الْمُسْلِمِينَ بِالْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ، مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ، وَيَجِبُ عَلَيْهِمْ الِامْتِنَاعُ مِنْ ذَلِكَ بِأَيِّ طَرِيقٍ أَمْكَنَهُمْ مِنْ تَغَيُّبٍ، أَوْ تَعْرِيضٍ، أَوْ مُصَانَعَةٍ، فَإِذَا لَمْ يُمْكِنْ إلَّا بِالْهِجْرَةِ تَعَيَّنَتْ، وَلَا يَحِلُّ سَبُّهُمْ عُمُومًا وَرَمْيُهُمْ بِالنِّفَاقِ، بَلْ السَّبُّ وَالرَّمْيُ بِالنِّفَاقِ يَقَعُ عَلَى الصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَيَدْخُلُ فِيهَا بَعْضُ أَهْلِ مَارِدِينَ وَغَيْرُهُمْ. وَأَمَّا كَوْنُهَا دَارَ حَرْبٍ أَوْ سِلْمٍ فَهِيَ مُرَكَّبَةٌ فِيهَا الْمَعْنَيَانِ لَيْسَتْ بِمَنْزِلَةِ دَارِ السِّلْمِ الَّتِي يَجْرِي عَلَيْهَا أَحْكَامُ الْإِسْلَامِ، لِكَوْنِ جُنْدِهَا مُسْلِمِينَ، وَلَا بِمَنْزِلَةِ دَارِ الْحَرْبِ الَّتِي أَهْلُهَا كُفَّارٌ، بَلْ هِيَ قِسْمٌ ثَالِثٌ يُعَامَلُ الْمُسْلِمُ فِيهَا بِمَا يَسْتَحِقُّهُ <u>وَيُقَاتَلُ الْخَارِجُ عَنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ</u>. "(1).

ثانياً : وجه التحريف في فتوى ماردين :

جذور التحريف للفتوى : وقع التحريف في الفتوى الماردينية السابقة فى كلمة في السطر الأخير من الفتوى وهى : (<u>وَيُقَاتَلُ الْخَارِجُ عَنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ</u>.). فأصلها في النص الأصلي (<u>ويعامل الخارج عن شريعة الإسلام بما يستحقه</u>). " وقد وقع التحريف أول ما وقع قبل مائة سنة تقريباً في طبعة فتاوى ابن تيمية التي أخرجها / فرج الله الكردي عام

(1) الفتاوى الكبرى ، لابن تيمية ، ٣ / ٥٣٣،الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

١٣٢٧هـ ، ثم تبعه على ذلك الشيخ / عبد الرحمن القاسم في طبعه لمجموع الفتاوى مرة أخرى . "([1]). وأصبح هذا النص المحرف هو المشهور والمتداول ، وظل الخطأ والتحريف كما هو حتى الطبعات المعاصرة والمطبوعة فى دار الكتب العلمية الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .

ووجه الخطورة : أن الفتوى الماردينية لابن تيمية أصبحت بالنص المحرف مصدر استمداد لجماعات العنف والجهاد والتكفير والهجرة داخل المجتمع الإسلامي ، وممن أعتمدها بنصها المحرف وجعلها مصدراً لاستدلالته المنحرفة / محمد عبد السلام فرج في كتابه (الفريضة الغائبة) ([2]) والذي يعد دستور الجماعات القتالية حتى يومنا هذا.

ثالثاً : مصادر تصحيح فتوى ماردين:

جاء التصحيح للفتوى بعد الرجوع لعدة مصادر مهمة ([3]) قد سجلت الفتوى على الصواب كما يلي :

١) في النسخة المخطوطة الوحيدة بالمكتبة الظاهرية برقم (٢٧٥٧) في مكتبة الأسد بدمشق.

([1]) انظر :مؤتمر ماردين فى ربيع الأول ١٤٣١هـ م آذار ٢٠١٠م سجال مؤتمر ماردين د عبدالوهاب الطريرى موقع الشيخ بتاريخ /٣ جمادى الأولى ١٤٣١هـ/ ١٧ /٤/ م٢٠١٠.

([2]) انظر الجهاد الفريضة الغائبة ، محمد عبدالسلام فرج ، ص ٦ .

([3]) انظر : سجال مؤتمر ماردين د عبدالوهاب الطريرى بتاريخ /٣ جمادى الأولى ١٤٣١هـ/ ١٧ /٤/ م٢٠١٠.

٢) فيما نقله تلميذ ابن تيمية / محمد بن مفلح (ت: ٧٦٣هـ) في كتابه (الآداب الشرعية) وهو قريب العهد منه على الصواب (وَيُعَامَل الْخَارِج عَنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَام بِمَا يَسْتَحِقُّهُ). ([1]).

٣) ونُقلت في (الدرر السنية في الأجوبة النجدية) لعلماء نجد الأعلام على الصواب (ويعامل) ([2]).

٤) ونقلها الشيخ / محمد رشيد رضا في (مجلة المنار) على الصواب. (ويعامل) ([3]).

رابعاً : أصداء فتوى ماردين المحرفة وخطورتها:

رغم مرور أكثر من سبعة قرون على إصدار هذه الفتوى فإنها لا تزال تشكل المرجعية الفكرية للجماعات الجهادية ، والتكفيرية ، وقد استخدمت هذه الفتوى بعد تصحيفها لتبرير العمليات الجهادية والانتحارية والتي كان من ضمنها اغتيال الرئيس المصري / أنور السادات ، والحق أن هذا انحراف في الفهم وخطأ في القياس " ففتوى ابن تيمية فى ماردين لا

([1]) الآداب الشرعية والمنح المرعية ، محمد بن مفلح الحنبلى ج١ / ص ٩٠ ، الناشر: عالم الكتب د ت .

([2]) الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، علماء نجد الأعلام ، ٩ / ٢٤٨ ، الطبعة: السادسة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م

([3]) انظر : مجلة المنار ج ٣٥ ص ١٣١ فقد نقلها الشيخ رشيد رضا على الصواب عن ابن مفلح الفقيه الحنبلي .

يمكن بحال من الأحوال أن تكون متمسكاً ومستنداً لتكفير المسلمين ، والخروج على حكامهم بل هي فتوى تحرم كل ذلك . "([1]).

ومكمن الخطورة بعد تصحيف فتوى ماردين ، هو التصحيف في فهم الفتوى ، حيث إن صاحب كتاب الفريضة الغائبة كما يقول د / محمد عمارة " قد قاس حكام اليوم على حكام التتار فسوي بينهم بل جعلهم شرا منهم ، فحكم بكفرهم ، وأوجب قتالهم . "([2]).

وتؤكد دار الإفتاء المصرية على أن الكثيرمن الجماعات المتطرفة في العصر الحالي قد اتخذ من فتوى ابن تيمية في أهل ماردين سندًا في تبرير ما يقومون به من أعمال تخريب ، وتدمير ، وقتل للنفس الإنسانية باسم الإسلام ، وذلك بسبب أن " غياب التوثيق في فتوى ابن تيمية أدى إلى تحريفها بشكل أهدر كثيرًا من دماء المسلمين وغيرهم، بل وأضر بمقاصد الشريعة وأهدافها، وتسبب في تشويه صورة الإسلام والمسلمين، ووصمهما بالتطرف ، والعنف ، والإرهاب ، وبخاصة وأن ترجمة الفتوى إلى اللغة الإنجليزية ، والفرنسية قد اعتمدت النص المُصَحَّف." ([3]).

خامساً : جهود علماء الأزهر في تصحيح الفتاوى المغلوطة حول الجهاد :

([1]) انظر : إعلان ماردين ، موقع ماردين دار السلام نشر بتاريخ ٢٢ آذار ٢٠١٠ م .

([2]) الفريضة الغائبة جذور وحورات دراسات ونصوص د/ محمد عمارة ، ص ٥٦ ، طبعة نهضة مصر الأولى ٢٠٠٩ م

([3]) انظر فتاوى دار الإفتاء المصرية : فتوى ماردين تحت رقم مسلسل : ٢٤٢٥ بتاريخ : ٢٠١١/٠٨/١٤.

وقد كان للمؤسسات الأزهرية جهودٌ طيبة تُذكر فتشكر فى تصحيح وتوجيه مثل هذه الفتاوى وعلى رأسها فتوى ماردين ، والتي صححتها ونقدتها دار الإفتاء المصرية ، وكان مما جاء فى مناقشتها " هذا، وإن كانت القاعدة عند العلماء أن دعوى الوهم في التفسير أسهل من دعوى التصحيف في الأصل إلا أن مَن استخدم نص ابن تيمية المحرف قد وقع في الأمرين معًا؛ لأن التفسير مبني على صحة الأصل؛ فَهُمْ قد جانبهم الصواب في توثيق النص وقراءته، وأخطأوا أيضًا في فهم الكلمة المحرفة من خلال السياق وسابق الكلام ولاحِقه، وأمارة ذلك الاقتران والازدواج الواردان في نص الفتوى بين قوله: [ويعامل الخارج عن شريعة الإسلام بما يستحقه] وقوله: [ويعامل المسلم فيها بما يستحقه]؛ إذ لو كان المراد كما فهموا [ويقاتل الخارج] لما كان هناك داعٍ لقوله بعدها: [بما يستحقه]؛ لأن الخلاف ليس في كيفية القتال، وإنما في إقرار القتال ومشروعيته، هذا أمر.

الأمر الآخر: أن سبب استمداد القتاليين من هذه الفتوى وجعلها دليلًا لهم أن عبارة "ويقاتل الخارج عن الشريعة" تضمنت أمرين:

الأول: تشريع القتال للخارج عن الشريعة بصيغة البناء للمجهول؛ إذ من حق أي مسلم أن يقوم بهذا، وبذلك أصبحت هذه الجماعات تدَّعي أنها هي التي ستقوم بهذا الدور بما فيه من قتال والخروج على الدول والمجتمعات الإسلامية.

الثاني: لفظة [الخارج عن الشريعة] لفظة واسعة، فإن الخروج عن الشريعة مساحة واسعة تبدأ من صغائر الذنوب وتنتهي إلى كبائر الذنوب الكفرية، وبالتالي أصبحت كل هذه المساحة مساحة للقتال واستحلال

أموال الناس، وبتصحيح النص كما ذكرناه يتم تجريد الفتوى من هذا التمسك للجماعات المتطرفة، كما أن التفقه في معنى الفتوى يجردها كذلك من هذا التمسك حيث أكد ابن تيمية على مجموعة من الأسس كما هو واضح لمن أمعن النظر في الفتوى حيث أكد على :

أ- حرمة دماء أهل ماردين وأموالهم، وأن بقاء هم في بلادهم تحت سلطة الكفار المتغلبين عليهم لا يهدر شيئًا من حقوقهم، ولا يحل سبهم ولا رميهم بالنفاق ناهيك عن الكفر.

ب- عدم وجوب الهجرة عليهم إذا تمكنوا من إقامة دينهم.

ج- حرمة مساعدتهم لعدو المسلمين، ولو اضطروا للمصانعة أو التعريض أو التغيب.

د- أن دارهم ليست دار إسلام محض؛ لأن المتغلب عليها غير مسلمين، وليست دار كفر محض؛ لأن أهلها مسلمون، ولكنها دار مركَّبة فيها المعنيان؛ يعامل المسلم فيها بما يستحقه، ويعامل الخارج عن شريعة الإسلام بما يستحقه.

ولذا لا يمكن أبدًا أن تكون فتوى ابن تيمية في حق أهل ماردين سببًا في استباحة دماء المسلمين وأموالهم بمجرد بقائهم في بلادهم تحت سلطة الكفار المتغلبين عليهم، وابن تيمية في فتواه هذه ينطلق من رؤية إسلامية صِرْف، تحتاط في الدماء والأموال بله التكفير إلى أبعد حد؛ لأن المسلم يحكم بإسلامه إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله،

فإذا قالها فقد عصم دمه وماله إلا بحقه، ولا يزول وصف الإسلام عنه إلا بيقين. "([1]).

وبتصحيح نص الفتوى يتم تجريد الفتوى من هذا المتمسك للجماعات القتالية بها، كما أن فهم مضمون الفتوى فهماً صحيحاً يجردها أيضًا، وعلى هذا فقد تعقب محمد عبد السلام فرج في كتابه (الفريضة الغائبة) جمعٌ من علماء الأزهر الشريف ، ومنهم الشيخ / جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر الأسبق، والشيخ / عطية صقر رئيس لجنة الفتوى في الأزهر رحمهما الله ([2]) وقد ناقشوا مضمون الفتوى وخطورتها وفندوها .

سادساً : التوجيه الأمثل لفتوى ماردين للشيخ / ابن تيمية :

قَسَّمَ العلماءُ البلادَ من حيث قبول الإسلام وعدم قبوله إلى: دار إسلام ودار حرب، وبناء على هذا التقسيم تختلف أحكام كثيرة من أحكام الفقه الإسلامي؛ كالحدود والجهاد والديات. ([3]).

([1]) فتاوى دار الإفتاء المصرية ، فتوى ابن تيمية في أهل ماردين ، برقم مسلسل : ٢٤٢٥ التاريخ : ٢٠١١/٠٨/١٤م .

([2]) انظر : كتاب نقض الفريضة الغائبة فتوى ومناقشة الإمام الأكبر / جاد الحق ، والشيخ عطية صقر ، ص٨٠ هدية مجلة الأزهر المحرم ١٤٢٤هـ .

([3]) دار الإسلام هي: كُلُّ بُقْعَةٍ تكون فيها أحكام الإسلام ظاهرة. أما دار الحرب فهي: كُلُّ بُقْعَةٍ تكون فيها أحكام الكفر ظاهرة . الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٠١/٢٠.

كان هذا هو التقسيم المعتمد عند العلماء والفقهاء ، وقد اجتهد الشيخ / ابن تيمية –رحمه الله– في هذه الفتوى بالقول بالدار الْمُرَكَّبَة ([1]) وهذا التقسيم والقول بالدار المركبة " يمكن الانطلاق منه إلى توصيف البلاد التي يقيم فيها المسلمون إذ ما ثم رقعة في العالم اليوم إلا وللمسلمين فيها وجود وتواجد، وتختلف ظروفهم من بلد إلى بلد فهم في بعض البلاد غير المسلمة يتمتعون بحقوق المواطنة الكاملة ويستطيعون إظهار شعائر دينهم ويمارسون عباداتهم ولا يكرهون ولا يستكرهون على منكر، فيمكن أن توصف هذه البلاد بأنها فضاء سلام، وأنها وإن لم تكن دار إسلام فإنها دار سلام وأمن يأمن فيها المسلمون على دينهم ويجوز البقاء فيها ما داموا في حالة تمكن من إظهار دينهم. كما دفع النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين الأول إلى أرض الحبشة وهي دار كفر وكان المبرر لذلك كونها دار أمان لهم يأمنون فيها على دينهم لأن بها ملكاً عادلاً لا يظلم الناس عنده وإلى ذلك انتهى بيان مؤتمر ماردين حيث نص في فقرة منه على هذا المعنى. ([2])

ومن هنا ينبغي أن نفهم: أن التقسيم الثنائي للمعمورة ليس وحياً إلهياً ، فلم يرد فيه نص صريح صحيح ، بل هو اجتهاد من العلماء ، وينبغي النظر فيه ، وفى غيره من التقسيمات وفق المتغيرات الحديثة

([1]) ومعنى الدار المركبة : أي التي ليست بمنزلة دار الإسلام التي يجري عليها أحكام الإسلام لكون جندها مسلمين، ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار بل هي قسم ثالث. فماردين هي مركبة، فيها المعنيان .

([2]) سجال مؤتمر ماردين د عبدالوهاب الطريرى موقع الشيخ بتاريخ السبت ٠٣ جمادى الأولى ١٤٣١ الموافق ١٧ إبريل ٢٠١٠.

،والواقع المعاش ، وتنزيل النصوص الشرعية عليه ، وهو ما اجتهد فيه ابن تيمية وأشار إلى الدار المركبة .

و هذا : ما يتماشى مع الواقع المعاصر ، وينسجم مع تقسيم الفكر الإسلامي المعتدل للأرض ، ويتناسب مع المعطيات الدولية المعاصرة ، وهو أكثر ملائمة للواقع ، وأنسب للرؤية الإسلامية المتكاملة والبناءة .

وأخيراً : فإذا كان الجهاديون والتكفيريون قد انحرفوا فى فهم النص المقدس (كتاباً وسنةً) ، فليس بغريب أن ينحرفوا في فهم نص تراثي يرون فيه تأييداً لهم في تكفيرهم للحكام والمحكومين من أبناء المجتمع الإسلامي ، فهو تحريفٌ في النقل ، وانحراف فى الفهم ، وبهذا ندرك جذور الإشكاليات حول الجهاد في الواقع المعاصر وعلاقتها بالتراث .

المبحث الثالث

صور من الإشكاليات حول الجهاد في التراث الفكري المنحرف ونقدها

تعددت صور الإشكاليات والانحرافات حول الجهاد الإسلامي في التراث الفكري المنحرف من ناحية مفهومه ، وغايته ، وتطبيقه على الواقع ، وفيما يلي عرض ونقد لها فى المطالب التالية:

المطلب الأول : إشكالية الانحراف في بيان غايات الجهاد وأنه غاية في ذاته :

وجه الإشكال : من الأمور التي وقع فيها إشكال عند منظري الفكر التكفيري أنهم نظروا إلى الجهاد على أنه غاية في ذاته وليس وسيلة لغايات عظمى ومقاصد شرعية شريفة. فقد جاء فيما كتبه عدد من قادة الجماعة الإسلامية في مصر بعد إعلانهم مبادرة نبذ العنف قولهم: « لقد شرع الله الجهاد والقتال ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ ([1])، وهذا هو الهدف الأسمى للجهاد، فإذا أصبح الجهاد والقتال نفسه محدثا للفتنة في الدين ومانعا من تعبيد الناس لربهم وصادا للناس عن دعوة الحق ومؤيدا للقبض على آلاف من الشباب المسلم ومنع الدعوة إلى الله ومنع كل مظهر من مظاهر الإسلام وإطفاء جذوة الدين في قلوب الشباب المسلم الصغير وتخويف كل من يدعم الإسلام ودعوته بنفسه أو ماله أو جهده أو جاهه. إذا أصبح الجهاد والقتال كذلك فقد

([1]) سورة البقرة: الآية : ١٩٣ .

خرج عن مقصوده الأسمى ولابد من وقفة حازمة لتصحيح مساره قبل أن تحترق بلاد المسلمين كلها وتحتل كلها بعد أن حرمت ساحة هذه البلاد من دعوة نقية صافية. » . ([1]).

وعلى هذا فإن اعتبار الجهاد غاية لمجرد طلب الشهادة أو قتال الكفار دون مراعاة لضوابط الجهاد فى سبيل الله ودون مراعاة للمفاسد والمصالح هو فهم منحرف لمصطلح الجهاد .

مناقشة الإشكالية ودحضها : ويمكن رد هذا الإشكال من وجوه :

- ***الأول:*** **من الحقائق القرآنية المقررة شرعاً أن القتال فى الإسلام ليس غاية في ذاته ، ولا مطلوباً لذاته ، بل هو وسيلة لتحقيق العدل ، ورد الظلم ، يشهد لهذا قوله تعالى : (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) ([2]) ويؤيده حديث :«أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ، »([3]) .فلو كان غاية لكان أمنية ، ولكنه وسيلة لتحقيق مقاصد الدين العظيمة ، بضوابطه وشروطه الشرعية ، فالجهاد ليس كما يتصوروه هؤلاء المنحرفون فكرياً بحثاً يائساً عن الشهادة بل غايته النصر والتمكين للدين .**

([1]) تفجيرات الرياض الأحكام والآثار، قيادات الجماعة الإسلامية، ص ٤٣، مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة، طبعة أولى ١٤٢٤هـ.

([2]) سورة الأنفال الآية ٦١.

([3]) صحيح البخاري بَابٌ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ أَوَّلَ النَّهَارِ أَخَّرَ القِتَالَ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ ٤/ ٥١ .ح ٢٩٦٥.

❖ *الثاني :* أصبح من الحقائق المقررة فى تراثنا الإسلامي أن الجهاد إنما شرع من باب الوسائل لا المقاصد، فليس الجهاد مقصودا لذاته، وإنما هو وسيلة لتحقيق غايات وفى هذا يقول الخطيب الشربينى " وَوُجُوبُ الْجِهَادِ وُجُوبُ الْوَسَائِلِ لَا الْمَقَاصِدِ، إذَا الْمَقْصُودُ بِالْقِتَالِ إنَّمَا هُوَ الْهِدَايَةُ وَمَا سِوَاهَا مِنْ الشَّهَادَةِ، وَأَمَّا قَتْلُ الْكُفَّارِ فَلَيْسَ بِمَقْصُودٍ حَتَّى لَوْ أَمْكَنَ الْهِدَايَةِ بِإِقَامَةِ الدَّلِيلِ بِغَيْرِ جِهَادٍ كَانَ أَوْلَى مِنْ الْجِهَادِ . " ([1]) .

❖ *الثالث :* ناقش سلطان العلماء العز بن عبدالسلام (المتوفى: ٦٦٠هـ) هذا المفهوم الخاطىء ورده رداً عقلياً مقنعاً فقال : " فَإِنْ قِيلَ: الْجِهَادُ إفْسَادٌ، وَتَفْوِيتُ النُّفُوسِ وَالْأَطْرَافِ وَالْأَمْوَالِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ قُرْبَةٌ إلَى اللَّهِ ؟ قُلْنَا: لَا يُتَقَرَّبُ بِهِ مِنْ جِهَةِ كَوْنِهِ إفْسَادًا، وَإِنَّمَا يُتَقَرَّبُ مِنْ جِهَةِ كَوْنِهِ وَسِيلَةً إلَى دَرْءِ الْمَفَاسِدِ وَجَلْبِ الصَّلَاحِ، كَمَا أَنَّ قَطْعَ الْيَدِ الْمُتَآكِلَةِ وَسِيلَةٌ إلَى حِفْظِ الْأَرْوَاحِ، وَلَيْسَ مَقْصُودًا مِنْ جِهَةِ كَوْنِهِ إفْسَادًا لِلْيَدِ. وَكَذَلِكَ مَا يَتَحَمَّلُهُ النَّاسُ مِنْ الْمَشَاقِّ الَّتِي هِيَ وَسَائِلُ الْمَصَالِحِ. ([2]).فالجهاد ليس غاية في ذاته ، بل وسيلة لغاية أعظم هي الدفاع عن الدين والنفس .

❖ *الرابع :* بين العلماء غايات الجهاد فى الإسلام ومقاصده الشرعية ، وفى هذا يقول الإمام / محمد أبو زهرة : " إن الباعث على الحرب في

([1]) مغني المحتاج ، الخطيب الشربيني ، ٦ / ٩ ، دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

([2]) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، العز بن عبد السلام ١ / ١٣٢، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م

الإسلام أمران: دفع الاعتداء وتأمين الدعوة الإسلامية ؛ لأنها دعوة الحق، وكل مبدأ سام يتجه إلى الدفاع عن الحرية الشخصية، يهم الداعي إليه أن تخلو له وجوه الناس، وأن يكون كل امرئ حرًا فيما يعتقد، يختار من المذاهب ما يراه بحرية كاملة، ويختار ما يراه أصلح وأقرب إلى عقله، وقد قاتل النبي ﷺ لهذين الأمرين" [١] .

ورغم وضوح هذا الأمر وتقرره عند علماء المسلمين رأينا من ينحرف في هذا المفهوم حيث جعل الجهاد غاية في حد ذاته .

المطلب الثاني : إشكالية تكفير الحكام والخروج عليهم باسم الجهاد.

وجه الإشكال : ومما أدخله التكفيريون في مفهوم الجهاد، وليس من الجهاد في شيء (الخروج على الحكام ، وعدم السمع والطاعة لهم) ، فقد وُجد في العصر الأول بعض الطوائف الذين دعوا إلى الخروج على سيدنا علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– باسم الجهاد، وظنوا أن ذلك من مفهوم الجهاد المشروع ، ثم تبعهم طوائف من الفرق الضالة ، ووضعوا أصولاً لمذاهبهم وعَدُّوا منها الجهاد [٢]، وأدخلوا فيه (الخروج على الولاة) ، وظل هذا الفكر يتطاير حتى وصل صداه إلى جماعات التكفير حديثاً .فقد

(١) العلاقات الدولية في الإسلام ، الإمام محمد أبوزهرة ، ص ٩٨ ،طبعة دار الفكر العربي القاهرة ، سنة ١٤١٥ هـ /١٩٩٥ م.

(٢) ذكر الإمام البغدادى " أن الذى يجمع الْخَوَارِج على افْتِرَاق مذاهبها إكفار على وَعُثْمَان والحكمين وَأَصْحَاب الْجمل وكل من رضى بتحكيم الْحكمَيْنِ والإكفار بارتكاب الذُّنُوب ، وَوُجُوب الْخُرُوج على الإِمَام الجائر . " الفرق بين الفرق ، البغدادى ، ص ٥٥.

جاء في كتاب (الفريضة الغائبة) لـ/ محمد عبد السلام فرج وهو أول من حمل لواء التكفير في العصر الحديث . بعد المودودى ، وقطب . ومن منظري جماعات العنف والتطرف يقول : " وحكام العصر قد تعددت أبوب الكفر التي خرجوا بها من ملة الإسلام بحيث أصبح الأمر لا يشتبه على كل من تابع سيرتهم، هذا بالإضافة إلى قضية الحكم.... فحكام هذا العصر في ردة عن الإسلام، تربوا على موائد الاستعمار.. سواء الصليبية أو الشيوعية أو الصهيونية، فهم لا يحملون من الإسلام إلا الأسماء وإن صلى وصام وادعى أنه مسلم . " . ([1]) .

وجاء في كتاب (العمدة في إعداد العدة) الذي يُعد من أهم كتب الجماعات الإسلامية المتطرفة والمنحرفة فكرياً وسلوكياً ما نصه : " والسلطان إذا كفر وكان ممتنعًا وجب قتاله فرض عين ويقدم على غيره، وهذا كشأن الحكام الذين يحكمون بغير شريعة الإسلام في كثير من بلدان المسلمين فهؤلاء كفار لقوله تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ) ([2]) وغيرها من الأدلة ، ومعظم هؤلاء يدعون الإسلام، فهم بالكفر صاروا مرتدين. والحق أن هؤلاء الحكام مع حكمهم بغير ما أنزل الله يشرعون للناس ما يشاؤون من أحكام، فهم قد نصبوا أنفسهم أربابا وآلهة للناس من دون الله تعالى، كما قال تعالى : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) ([3]) فكفرهم كفر مزيد مركب مع صدهم عن

([1]) الجهاد الفريضة الغائبة ، / محمد عبدالسلام فرج ، ص٩، من إصدارات الحركة الإسلامية بمصر.

([2]) سورة المائدة : الآية : ٤٤ .

([3]) سورة التوبة الآية : ٣١ .

سبيل الله ... إلى أن يقول : " وجهاد هؤلاء الحكام المرتدين وأعوانهم فرض عين على كل مسلم من غير ذوي الأعذار الشرعية . " ([1]).

فهم يرون أن الجهاد يتمثل فى الخروج على هؤلاء الحكام ، ويرون كفرهم ؛ لأنهم يحكمون بغير ما أنزل الله ، بل هم الطواغيت أى الكفر ذاته ، ومن ثم يجب جهادهم ، ولا يجوز الجهاد تحت رايتهم بل يجب قتالهم ، وهو أولى من قتال غير المسلمين .

رد هذه الإشكالية ودحضها : ويمكن الرد على هذه الإشكالية من وجوه :

❖ ***الأول :*** اتضح جلياً أن السبب في انحراف هؤلاء التكفيريين وتكفيرهم للحكام ، واعتبار أن الخروج عليهم واجب ، وأن قتالهم فرض عين ، هو فهمهم للنص القرآني (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ) ([2]). والناظر لهذه الإشكالية يجد أن سببها هو نفس ما أثاره الخوارج قديماً فى تبرير خروجهم على الحكام ، حيث صرفوا هذه الآية على المسلمين بينما هي في الكافرين ، وهذا خلط وانحراف فى الفهم . ويدل على هذا الانحراف في الفهم ما ذكره شيخ المفسرين الإمام الطبري (المتوفى سنة : ٣١٠هـ) في سبب نزول هذه الآية فقد نقل " عن أبي صالح قال: الثلاث الآيات التي في"المائدة"،"ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" (فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ،

([1]) العمدة في إعداد العدة ، عبدالقادر عبدالعزيز ، ص٣٠٨ . ص ٣١١ دار البيارق، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

([2]) سورة المائدة : الآية : ٤٤ .

(فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) ، ليس في أهل الإسلام منها شيءٌ، هي في الكفار. ويقول حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبي، عن أبي حيان، عن الضحاك:"ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون"، و"الظالمون" و"الفاسقون"، قال: نزلت هؤلاء الآيات في أهل الكتاب. وعن قتادة قوله : " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون"، ذكر لنا أن هؤلاء الآيات أنزلت في قتيل اليهود الذي كان منهم. " ([1]). والذي ذكره الإمام الطبري يرد فهم التكفيريين للآية الكريمة ، ويزيل الإشكال تماماً ؛ حيث إن الآية التي استدلوا بها والآيتان بعدها نزلتا في اليهود خاصة ، وقيل: في الكفار عامة ، وقيل: في أهل الكتاب عامة ، ورغم هذا حملوها على المؤمنين ، وبذا يثبت انحرافهم في فهم النص الشرعي وتحريفهم للكلم عن مواضعه .

❖ *الثاني :* ولو أخذنا بالرأي القائل : (إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) فتكون الآية عامة في الكافرين والمؤمنين ، ويكون المعنى الصحيح لها أن " كل من حكم بغير ما أنزل الله، مستهينا بحكمه- تعالى- أو منكرا له، يعد كافرا لأن فعله هذا جحود وإنكار واستهزاء بحكم الله ومن فعل ذلك كان كافرا. أما الذي يحكم بغير حكم الله مع إقراره بحكم الله واعترافه به، فإنه لا يصل في عصيانه وفسقه إلى درجة الكفر. " ([2]).

([1]) جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري ، ١٠ / ٣٤٧ ، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ /٢٠٠٠ م.

([2]) التفسير الوسيط ، د/ محمد سيد طنطاوي ، ٤ / ١٦٨ ،ط : دار نهضة مصر طبعة: الأولى ١٩٩٧م .

❖ *الثالث :* ووجه الانحراف عند هؤلاء أيضاً أنهم قصروا الآية على الحكام وحملوها على العموم ، وهذا انحرف في الفهم ، وخطأ في تفسير للنص وذلك لأن " كفر الحاكم لحكمه بغير ما أنزل الله مقيد بقيد الاستهانة به ، والجحود له ، وهذا ما سار عليه كثير من العلماء ... وهو كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق. أي: أن كفر المسلم وظلمه وفسقه ليس مثل كفر الكافر وظلمه وفسقه. فإن كفر المسلم قد يحمل على جحود النعمة . " [1]. فالكفر إذا نُسب إلى المؤمنين من الحكام وغيرهم يُحمل على التشديد والتغليظ ، لا على الكفر الذي يخرج من الملة ، فليس كل من لم يحكم بما أنزل الله من الحكام كافر عموماً، بل من عطل الحكم بما أنزل الله من الحكام ، أو حكم بغيره دون إنكار لصدقه ، أو احتكار له فهو مؤمن عاص وليس بكافر .

❖ *الرابع :* وقد ذكر شبهتهم هذه وناقشهم فيها الإمام الألوسى بقوله : " واحتجت الخوارج بهذه الآية على أن الفاسق كافر غير مؤمن، ووجه الاستدلال بها أن كلمة (مِنْ) فيها عامة شاملة لكل من لم يحكم بما أنزل الله تعالى، فيدخل الفاسق المصدق أيضاً لأنه غير حاكم وعامل بما أنزل الله تعالى، وأجيب بأن الآية متروكة الظاهر، فإن الحكم وإن

---

(1) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، د/ محمد سيد طنطاوي ، ٤ / ١٦٨ .

كان شاملا لفعل القلب والجوارح لكن المراد به هنا عمل القلب وهو التصديق، ولا نزاع في كفر من لم يصدق بما أنزل الله تعالى"([1]) .

❖ الخامس :أن النصوص الشرعية متواترة في النهي عن الخروج على الولاة ، وأن ذلك من المحرمات، ومن النصوص الشرعية الدالة على ذلك ، ما رواه البخاري فى صحيحه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ»([2]) . وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ يَرْوِيهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَكَرِهَهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَيَمُوتُ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» .([3]) . وذكرت النصوص شرطا للطاعة وهو ما رواه البخاري عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ» ([4]) . إلى غير ذلك من النصوص الشرعية التي

([1]) روح المعاني ، الألوسي ، ٣ / ٣١٤ ، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

([2]) صحيح البخاري ، بَابُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ ٩ / ٦٢ / ح ٧١٤٢ دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

([3]) صحيح البخاري ، بَابُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً ٩ / ٦٢ / ح ٧١٤٣ .

([4]) صحيح البخاري ، بابُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً ٩ / ٦٣ / ح ٧١٤٤ .

توجب السمع والطاعة للإمام ما لم يأمر بمعصية ، وتحرم الخروج على الحكام والأمراء والولاة .

وعلى هذا : فأساس هذه الشبهة منقول عن الخوارج حيث إنهم ينظرون إلى العاصي على أنه كافر ، ويسوون بين معصية الشرك وباقي المعاصي ، وقد اعتمدوا في هذه الشبهة على ظاهر هذه الآية ، وغفلوا عن النصوص المخصصة ، والمعارضة لما استشهدوا به ، كالنصوص التي صرحت بإطلاق لفظ المؤمن على العاصي .

هذا : وينبغي أن نفهم أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون من الفرد نفسه في سلوكه الشخصي كمن يستحل الخمر، أو مع أسرته كتحليل حرمان الأنثى من الميراث ، أو مع الناس كاستحلال سرقتهم والارتشاء منهم ، وقد يكون من الحاكم كإباحة المحرم ، أو وضع قانون يخالف الشرع .

المطلب الثالث : إشكالية تكفير المجتمع واغتيال قياداته باسم الجهاد :

وجه الإشكال : من أخطر أسباب الانحراف في مفهوم الجهاد لدى الجماعات المتطرفة ، وأصحاب الفكر التكفيري المسارعة في تكفير للمجتمع ، فإذا كان الحاكم عندهم كافر ، فكذلك كل من رضى بحكمه فهو كافر ، وكل من يدافع عنه من الجيش والشرطة أو من يرضى بحكمه فهو كافر ، يجب قتاله ، وهو من الجهاد المقدس عندهم . يقول صاحب كتاب العمدة في إعداد العدة : " والسلطان إذا كفر وكان ممتنعًا وجب قتاله فرض عين ويقدم على غيره. وهذا كشأن الحكام الذين يحكمون بغير

شريعة الإسلام في كثير من بلدان المسلمين فهؤلاء كفار ... وإذا كان الحاكم المرتد ممتنعا بطائفة تقاتل دونه، وجب قتالهم، وكل من قاتل دونه فهو كافر لقوله تعالى :(وَمن يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُم فَإِنَّهُ مِنْهُم) ([1]) وجهاد هؤلاء الحكام المرتدين وأعوانهم فرض عين على كل مسلم من غير ذوي الأعذار الشرعية "([2]) .

ويحكم أبوجندل الأزدي – فارس الزهراني– بكفر رجال الأمن وشرعية قتالهم فيقول : " أولا: إن هذا الأقسام المباحث أو الاستخبارات أو مباحث أمن الدولة أو الأمن الوقائي أو الأمن السياسي أو ما شئت من أسماء هي أقسام كافرة مرتدة لا شرعية لها، يجب جهادها وقتالها.ثانيا: أن تبين الموانع إنما يكون في المقدور عليه وأما المحارب وغير المقدور عليه فليس كذلك.ثالثا: أن قتال المباحث حتى لو فرضنا جدلا أنهم مسلمون هو من باب دفع العدو الصائل وأن قتيل المباحث إلى النار وقتيل المجاهدين من الشهداء . " ([3])

وقد انتشر هذا الفكر عند بعض الشباب الذي ليس لديه تحقيق من هذه الأفكار ، وليس عنده مناعة كافية لدفع هذه الأقوال ، فكانت مشكلة التفجيرات والاغتيالات باسم الجهاد في استخدام العبوات الناسفة والأسلحة الحديثة الفتاكة في هذا العصر ، مما له آثار جسيمة ، وعواقب

([1]) سورة المائدة آية ٥١.

([2]) العمدة في إعداد العدة ، عبدالقادر عبدالعزيز ، ص٣٠٨ . ٣١١

([3]) أسباب الانحراف في مفهوم الجهاد ووسائل علاجه ،أ. د. سليمان بن صالح الغصن ص ٤٢ . عن : الباحث في حكم قتل أفراد وضباط المباحث ، لفارس الزهراني، ص٨٦ ،منشور على الشبكة.

وخيمة ، وأحدثت من المفاسد الشيء الكثير ، من إزهاق أرواح الأبرياء وتدمير الممتلكات ، وإفساد المصالح ، والمنشآت العامة ، وقتل عدد من غير المسلمين المستأمنين في بلاد الإسلام بعهد أمان من ولي الأمر ، سواء كانوا سائحين أو خبراء أو عمالاً وغيرهم ، وهذا ناتج عن الجهل بكتاب الله . ([1])

رد هذه الإشكالية ودحضها : ورد هذا الإشكال من وجوه :

- ***الأول :*** لا شك أن هذه الأفكار المسمومة ، والمفاهيم المغلوطة حول الجهاد لا يرضاها الدين الصحيح ، ولا يقرها العقل السليم ، ولا المنطق السديد ، فالجهاد في الإسلام لا بد أن يكون مع إمام ، حتى لا تحدث فوضى ، ولو لم يكن هناك ولاية وإمامة فلا يكون هناك جهاد، بل هو نوع من الإرهاب ، والقتال غير المشروع .
- ***الثاني :*** من الضوابط الشرعية للجهاد: مراعاة العهود والمواثيق التي يعقدها أهل الإسلام، فإذا كان هناك عهد وميثاق، فإنه لا يجوز نقضه باسم الجهاد، ومن النصوص الشرعية الدالة على ذلك : قول الله تعالى : (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)([2]). وقال: (وَإِنِ

([1]) لمزيد من التفصيل ، ينظر كتاب التفجيرات والاغتيالات (الأسباب والآثار والعلاج) ، أبو الحسن السليماني . مجلة البحوث الإسلامية، العدد السابع والتسعون – شوال ١٤٣٣ هـ الفرق بين الجهاد والإرهاب ج ٩٧، ص ٢٣٦.

([2]) سورة المائدة : الآية ١ .

اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثاقٌ وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)(١).

❖ *الثالث :* من القواعد الشرعية المقررة أنه إذا عاهد الإمام الأعظم قومًا، أو أَمَّنَهُم لزم من تحت يده أن يلتزموا بما صدر من الإمام من عهد وميثاق، ويحرم عليهم أن ينقضوا ذلك العهد. قال الإمام ابن قدامة –رحمه الله– : "وَيَصِحُّ أَمَانُ الْإِمَامِ لِجَمِيعِ الْكُفَّارِ وَآحَادِهِمْ؛ لِأَنَّ وِلَايَتَهُ عَامَّةٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. وَيَصِحُّ أَمَانُ الْأَمِيرِ لِمَنْ أُقِيمَ بِإِزَائِهِ مِنْ الْمُشْرِكِينَ، فَأَمَّا فِي حَقِّ غَيْرِهِمْ، فَهُوَ كَآحَادِ الْمُسْلِمِينَ، لِأَنَّ وِلَايَتَهُ عَلَى قِتَالِ أُولَئِكَ دُونَ غَيْرِهِمْ . "(٢).

❖ *الرابع :* تؤكد النصوص الشرعية الصحيحة أنه لا يجوز الخروج للجهاد إلا بعد إذن ولى الأمر الأدنى والأعلى انطلاقاً من النصوص الشرعية الثابتة ، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ –ﷺ–، يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ: «أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ».(٣) ويجب على المجاهد استئذان ولى الأمر الأعلى من الأئمة والولاة، قبل أن يقدم علي الجهاد المشروع ومن الأدلة على ذلك : قوله –سبحانه– {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ} .

---

(١) سورة الأنفال:٧٢ .

(٢) المغني ، لابن قدامة، ٩/ ٢٤٢الناشر: مكتبة القاهرة الطبعة: بدون طبعة سنة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

(٣) صحيح البخاري ، بَابُ الجِهَادِ بِإِذْنِ الأَبَوَيْنِ٤ / ٥٩ / ح ٣٠٠٤ .

([1]) وعملاً بما رواه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ، يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ، وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللهِ ﷻ وَعَدَلَ، كَانَ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ، وَإِنْ يَأْمُرْ بِغَيْرِهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنْهُ» ([2]) فدل ذلك على أن القتال لا بد فيه من إمام. والذين يأمرون بالنَّفْر هم أهل الولاية، وهو الإمام الأعظم فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا» ([3]) أي: وإذا دعاكم الإمام إلى الخروج معه للجهاد فاخرجوا معه بدون تثاقل.

المطلب الرابع : إشكالية حول بيان حكم الجهاد وادعاء أنه فرض عين :

وجه الإشكال : من أسباب الانحراف المتعلقة بالجهاد الانحراف فى بيان حكم الجهاد ، وادعاء أنه فرض عين ، ويظهر من كتابات المنحرفين في مفهوم الجهاد أنهم ينظرون إلى الجهاد على أنه فرض عين فى هذا الزمان وذلك لأنهم ينظرون إلى بلاد الإسلام على أنها محتلة إما من قبل الحكام الكفرة فى نظرهم ، أو من يوالونهم من الكفرة وأعداء الدين ، وهو واجب دون شرط أو قيد .

([1]) سورة النور : الآية ٦٢.

([2]) صحيح مسلم بَابٌ فِي الْإِمَامِ إِذَا أَمَرَ بِتَقْوَى اللهِ وَعَدَلَ أَجْرٌ ٣/ ١٣٧١ / ح ١٨٤١ : دار إحياء التراث العربي – بيروت .

([3]) صحيح البخاري ، بَابُ فَضْلِ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ ٤/ ١٥ / ح ٢٧٨٣ .

جاء في كتاب (الجهاد الفريضة الغائبة) أخطر مصادر الجماعات المتطرفة ما نصه :" وبالنسبة للأقطار الإسلامية فإن العدو يقيم في ديارهم... بل أصبح العدو يمتلك زمام الأمور وذلك العدو هم هؤلاء الحكام الذين انتزعوا قيادة المسلمين، ومن هنا فجهادهم فرض عين، هذا بالإضافة إلى أن الجهاد الإسلامي اليوم يحتاج إلى قطرة عرق كل مسلم. واعلم أنه إذا كان الجهاد فرض عين فليس هناك استئذان للوالدين في الخروج للجهاد كما قال الفقهاء، فمثله كمثل الصلاة والصوم " ([1]) .

ويقول صاحب كتاب العمدة في إعداد العدة : " وكون جهاد هؤلاء الطواغيت فرض عين هو من العلم الواجب إشاعته في عموم المسلمين ليعلم كل مسلم أنه مأمور شخصيا من ربه بقتال هؤلاء» ، وقال: « وقتال هؤلاء الحكام المرتدين مقدم على قتال غيرهم من الكفار الأصليين من يهود ونصارى ووثنيين ... وجهاد هؤلاء الطواغيت فرض عين للمرء أن يفعله وحده إن أراد، خاصة إذا أمكنته الفرصة من أحد هؤلاء» ([2]) .

رد هذه الإشكالية ودحضها : ناقشت دعوى هؤلاء المنحرفين أن الخروج على الحاكم هو الجهاد الشرعي وأبطلتها سابقاً، وهنا نناقش دعواهم أن الجهاد فرض عين فأقول : إن المتتبع لتراثنا الفقهي يدرك خطأ هؤلاء المنحرفين ، ويكفى فى الرد عليهم أن نذكر ما قاله ابن قدامه فى مسألة متى يكون الجهاد فرض عين يقول : " وَيَتَعَيَّنُ الْجِهَادُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ :

([1]) الجهاد الفريضة الغائبة ، محمد عبدالسلام فرج ، ص٢٨ ،٢٩.

([2]) العمدة في إعداد العدة ، ص٣١٦.

أَحَـدُهَا: إذَا الْتَقَـى الزَّحْفَـانِ، وَتَقَابَـلَ الصَّـفَّانِ؛ حَـرُمَ عَلَـى مَـنْ حَضَـرَ الِانْصِرَافُ، وَتَعَيَّنَ عَلَيْهِ الْمُقَامُ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا} [الأنفال: ٤٥] . وقَوْله تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ} [الأنفال: ١٥] {وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ} [الأنفال: ١٦] .

الثَّانِي : إذَا نَزَلَ الْكُفَّارُ بِبَلَدٍ، تَعَيَّنَ عَلَى أَهْلِهِ قِتَالُهُمْ وَدَفْعُهُمْ.

الثَّالِثِ : إذَا اسْتَنْفَرَ الْإِمَامُ قَوْمًا لَزِمَهُمْ النَّفِيرُ مَعَهُ؛ لِقَوْلِه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ} سورة التوبة: ٣٨ "([1]) وما عدا هذا فهو فرض كفاية.

([1]) المغني ، لابن قدامة الحنبلي، ٩ / ١٩٧ الناشر: مكتبة القاهرة الطبعة: نشر: ١٣٨٨هـ /١٩٦٨م .

المبحث الرابع : إشكاليات حول مفهوم الجهاد في النصوص الشرعية المقدسة ونقدها.

وفى هذا المبحث نتناول بعض النصوص الشرعية التي دار حولها إشكاليات بسبب الفهم الخاطئ للنصوص ، وننقد هذا الفهم فى ضوء النصوص الأخرى لنُزيل الإشكال خاصة عند من يزعمون أن القرآن والسنة من التراث الإسلامي ، نذكرها ونناقشها مع إيماننا القاطع أن القرآن والسنة ليسا من التراث بل هما من الوحي ، ومن هذه الإشكاليات ما يلي :

المطلب الأول : إشكالية حول آية السيف :

المقصود بآية السيف: اختلف العلماء فى المقصود بآية السيف فقيل هى قول الله تبارك وتعالى: (فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيم)(١) وأضاف بعضهم إلى هذه الآية قول الله تعالى: (وقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّة) (٢) . وقيل هي قوله : (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)(٣) .

(١) سورة التوبة:٥ .

(٢) سورة التوبة:٣٦

(٣) سورة التوبة: ٢٩.

وجه الإشكال في آية السيف : جاء الإشكال في آية السيف وأشباهها من ناحيتين :

الأولى **: ادعى الجهاديون والتكفيريون أن آية السيف تؤصل للعلاقة بين المسلمين وغيرهم ويرون أنها ناسخة لكل آيات الدعوة بالحوار والمسالمة ، وأن السيف هو الفيصل بين المسلمين وغيرهم معتمدين فى ذلك على بعض تفاسير القرآن الكريم ، وعلى أن ظاهر هذه النصوص الذى يوهم أنها تدعو إلى قتال الآخرين وأن ذلك هو الأصل فى الإسلام.**

الثانية : **أنه وجدت نصوص تراثية عن بعض العلماء تفيد بأن آية السيف ناسخة لآيات الدعوة بالحكمة والموعظة والجدال بالتي هي أحسن .من ذلك ما نُقل عن الْمَهْدَوِيُّ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّ قَوْلَهُ:" وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً" مَنْسُوخٌ بِآيَةِ السَّيْفِ."(1) وقد ادعى / هبة الله بن سلامه البغدادي (ت٤١٠ هـ) في كتابه (الناسخ والمنسوخ في القرآن) " أن آية السيف نسخت مائة وأربعاً وعشرين آية ثم صار آخرها ناسخ لأولها "(2) ووجود مثل هذه الأقوال المرجوحة في كتب التراث سبب إشكالاً من ناحيتين:**

الأولى : أن الخوارج والجهاديين أخذوا من هذه الأقوال التراثية أدلة على توجهاتهم المنحرفة .

---

(1) تفسير القرطبى ٢/ ١٧ دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م .

(2) الناسخ والمنسوخ فى القرآن ، هبة الله بن سلامه ، ص ٦٨ ، تحقيق/ موفق فوزى جبر، طبعة دار الحكمة دمشق ١٩٩٤م.

والثانية : أن أعداء الإسلام استغلوا هذا الفهم المغلوط في تشويه صورة الإسلام .

رد الإشكال حول آية السيف : نقول إن العلماء اختلفوا في المقصود بآية السيف ، وعلى فرض أنها واحدة من الآيات السابقة ، فيمكن إزالة هذا الإشكال من وجوه:

❖ *الأول :* إذا علمنا أن هذا الظاهر غير مراد وأن القول بأن آية السيف ناسخة هو قول مرجوح ، وهو من سوء الفهم كما قال العلامة / ابن الجوزى (المتوفى: ٥٩٧هـ): " وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ مَنْ لا فَهْمَ لَهُ مِنْ نَاقِلِي التَّفْسِيرِ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ وَهِيَ آيَةُ السَّيْفِ نَسَخَتْ مِنَ الْقُرْآنِ مِائَةً وَأَرْبَعًا وَعِشْرِينَ آيَةً ثُمَّ صَارَ آخِرَهَا نَاسِخًا لِأَوَّلِهَا، وَهُوَ قَوْلُهُ: (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سبيلهم) . وَهَذَا سُوءُ فَهْمٍ. لِأَنَّ الْمَعْنَى: اقْتُلُوهُمْ وَأْسِرُوهُمْ إِلا أَنْ يَتُوبُوا مِنْ شِرْكِهِمْ، وَيُقِرُّوا بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ فخلوا سبيلهم ولا تقتلوهم . "[1]

❖ *الثاني :* أن للعلماء في بيان مفهوم آيات السيف تأويلات راجحة فقد فسرها شيخ المفسرين الإمام / الطبري بأنها دعوة للوحدة في وجه المشركين، لا أنها تدعو لقتالهم أجمعين، فيقول: " فى قوله جل ثناؤه: {وقاتلوا المشركين} بالله – أيها المؤمنون – جميعا غير مختلفين، مؤتلفين غير مفترقين، كما يقاتلكم المشركون جميعا،

([1]) نواسخ القرآن ، ابن الجوزي ، ٢ / ٤٦٥، تحقيق: محمد المليباري ، المدينة المنورة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م

مجتمعين غير مفترقين" ([1]). ونقل عن ابن عباس وعلى وقتادة والسدي أقوالا تؤكد هذا الفهم للآية ، فالآية على هذا التفسير والفهم ليست أمراً بشن الحرب على الكفار جميعا، بل دعوة للتناصر والوحدة في وجه العدو الذي يقاتلنا مجتمعا.

الثالث: **نلاحظ أنه لم ترد كلمة السيف في القرآن الكريم كله ، إنما جاءت تسمية (أية السيف) من إطلاقات المفسرين والفقهاء ، ومع أهمية هذه الملاحظة فقد أكد العلماء على أن أية السيف ليست عامة في كل المشركين ، بل هي خاصة بمن نقض العهد مع المسلمين ، يقول الإمام أبوالسعود المتوفى (٩٨٢هـ) في كتابه (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) : " والخطابُ في عاهدتم للمسلمين ، وقد كانوا عاهدوا مشركي العربِ من أهل مكةَ وغيرِهم بإذن الله تعالى ، واتفاقِ الرسولِ ﷺ، فنكَثوا إلا بني ضَمْرَةَ وبني كِنانةَ ، فأُمر المسلمون بنبذ العهدِ إلى الناكثين ، وأُمهلوا أربعةَ أشهر ليسيروا أين شاءوا. " ([2]) وذهب إلى هذا الرأي جمع من المفسرين والعلماء ([3]) فمن القدامى كالإمام الطبري (المتوفى:**

([1]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبوالسعود ، ٤ / ٤٠: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

([2]) تفسير الطبرى ، الطبرى . ١٤ / ٢٤٢ ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

([3]) راجع تفسير الآية الخامسة من سورة التوبة فى تفاسير هؤلاء العلماء . جامع البيان في تأويل القرآنالطبري ٣ / ٥٦٢مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م تفسير القرآن العظيم ابن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ١ / ٥٢٥الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ، ٢ ، ٢٤٧الناشر: دار الكتاب ==

٣١٠هـ)، والزمخشري(المتوفى: ٥٣٨هـ) وابن العربى (المتوفى: ٥٤٣هـ) والرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)،والقرطبى (المتوفى: ٦٧١هـ)، والبيضاوى (المتوفى: ٦٨٥هـ)، والنسفى (المتوفى: ٧١٠هـ)، وابن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ) والألوسى (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، ، وغيرهم ، ومن العلماء المعاصرين ، والإمام محمد عبده ، والشيخ / رشيد رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ) والإمام / محمود شلتوت ، والعلامة / محمد الغزالي .

❖ *الرابع:* أن القول بنسخ آيات الجدال يعارضه قول طائفة من العلماء الذين يرون أن آيات الجدال محكمة، ومنه ما نقله الإمام القرطبى عن مجاهد فِي قَوْلِهِ: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} قال : " هِيَ مُحْكَمَةٌ فَيَجُوزُ مُجَادَلَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ عَلَى مَعْنَى

==

العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ مفاتيح الغيب = التفسير الكبير فخر الدين الرازي ١٥ ، ٥٢٨ الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي٢ / ٣٥١ الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) النسفي ١ / ٦٦٤الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا ١٠ / ١٤٨ لناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: ١٩٩٠ م روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ١ / ٥٠٣الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ ، أحكام القرآن، أبو بكر بن العربي ١ / ٢٠٦ الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – ط الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م

الدُّعَاءِ لَهُمْ إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى حُجَجِهِ وَآيَاتِهِ، رَجَاءَ إِجَابَتِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ، لَا عَلَى طَرِيقِ الْإِغْلَاظِ وَالْمُخَاشَنَةِ ، وقوله على هذا {إلا الذين ظلموا منهم} معناه: ظلموكم، وإلا فكلهم ظلم على الإطلاق " ثم علق القرطبي على هذا بقوله: "وقول مجاهد حسن، لأن أحكام الله ﷻ لا يقال فيها: إنها منسوخة؛ إلا بخبر يقطع العذر أو حجة من معقول، واختار هذا القول ابن العربي". ([1])

ومن هؤلاء المفسرين ابن كثير فهو أيضاً يميل إلى رد دعوى النسخ في آيات جدال الكفار، فيقول: " بَلْ هِيَ بَاقِيَةٌ أَوْ مُحْكَمَةٌ لِمَنْ أَرَادَ الِاسْتِبْصَارَ مِنْهُمْ فِي الدِّينِ، فَيُجَادِلُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، لِيَكُونَ أَنْجَعَ فِيهِ... وَهَذَا الْقَوْلُ اخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ، وَحَكَاهُ عَنِ ابْنِ زَيْدٍ. وَقَوْلُهُ: {إلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} أَيْ: حَادُوا عَنْ وَجْهِ الْحَقِّ ، وعَمُوا عَنْ وَاضِحِ الْمَحَجَّةِ، وَعَانَدُوا وَكَابَرُوا، فَحِينَئِذٍ يُنْتَقَلُ مِنَ الْجِدَالِ إِلَى الْجِلَادِ، وَيُقَاتَلُونَ بِمَا يَرْدَعُهُمْ وَيَمْنَعُهُمْ . ([2])

وبهذا يزول الإشكال ويتبين أن الرأي القائل بأن آية السيف ناسخة لآيات السلم هو قول مرجوح ، ولا دليل عليه ، فآيات الدعوة محكمة ، وباقية للعمل بها للدعوة بالجدال لا الجلاد ، وباللسان لا السنان ، وليس في الآية دليل على قتال من لم يقاتل المسلمين أو يصد عن الدعوة من

([1]) تفسير القرطبى ، القرطبى ١٣ / ٣٥٠ .

([2]) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ٦ / ٢٨٣،الناشر: دار طيبة الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

الكافرين ، إنما جاءت الآيات لتعالج حالات متعددة ، في ظروف متغايرة ، وفهم واقع تنزُل الآيات يثمر فهماً صحيحاً للحالات التي جاءت تعالجها .

المطلب الثاني : إشكالية حول حديث (بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ لَا شَرِيكَ لَهُ)

استشكل على البعض وجود حديث عَنِ ابْنِ عُمَرَ يقول فيه رَسُولُ اللهِ ﷺ : " بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ " على أنه يدعو إلى القتال وأن الدعوة لا تكون إلا بالجهاد المسلح .

والجواب على هذا الإشكال من ناحيتين :

- ***الأولى : من ناحية سند الحديث :*** فالحديث رواه الإمام أحمد في المسند وعلق على إسناده الشيخ شعيب الأرنؤوط بقوله " إسناده ضعيف على نكارة في بعض ألفاظه. وهذا الحديث يدور على ابن ثوبان – وهو عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان – وقد اختلفت فيه أقوالُ المجرحين والمعدلين، فمنهم من قوى أمره، ومنهم من ضعفه، وقد تغير بأخرة، وخلاصة القول فيه أنه حسنُ الحديث إذا لم يتفرد بما ينكر، فقد أشار الإمام أحمد إلى أن له أحاديث منكرة، وهذا منها.(1).

---

(1) مسند الإمام أحمد ، ٩ / ١٢٤، تحقق: شعيب الأرنؤوط ، وآخرون مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

❖ *__الثانيـة : مـن ناحيـة المتن__* : أمـا مـن ناحيـة المـتن فـالفهم المغلـوط السابق مردود من ناحيتين :

✓ الأولـى : أنـه يتعـارض مـع النصـوص الصـريحة التـي تـأمر بالـدعوة بالحسنى ، ثم إنـه لـم يرد فـى القرآن الكريم نـص يدل علـى أن النبـي صلى الله عليه وسلم بعث بالسيف .

✓ الثانيـة : أن الواقـع يرد هذا الحديث فتـاريخ الـدعوة فـى الفترة المكيـة يشهد بنقيضه فأى سيف حملـه النبـي -ﷺ- وصـحابته الكرام فـى مكـة أما المدينة فقد أذن لهم فى رد العدوان دون اعتداء .

المطلب الثالث :إشكالية حول حديث (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِـلَ النَّـاسَ حَتَّـى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)

وقع إشكال فى الفهم عند بعض من وقف عند ظاهر حديث البخاري أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»(١).

ووجه الإشكال : أن ظاهر هذا النص يفيد أن الدعوة إلـى الإسـلام قائمـة على الإكراه والعنف وأن الجهاد المسلح هو سبيل الدعوة .

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ٩ / ١٢٤، تحقق: شعيب الأرنؤوط ، وآخرون ،ط الرسالة طبعة أولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

رد الإشكال : والحق أن هذا الظاهر غير مراد بل ويتنافى مع المبادىء العامة للإسلام من وجوه :

- **الأول : أن المتأمل فى النص (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ) يدرك أن النص أمر بالمقاتلة لا القتل ، والفرق شاسع بين الأمرين فالمقاتلة فيها مفاعلة بين طرفين لا طرف واحد ، وبذل الجهد في دفع العدو عن إيذائي ([1]) أما القتل فهو القضاء على العدو، ولا يلزم عقلاً من وجوب المقاتلة على الشيء وجوب القتل عليه .**
- **الثاني : أن لفظ (حتى) في الحديث لبيان غاية القتال وهو زوال العقبات التي تصد عن سبيل الله ، فالصد عن سبيل الله من المشركين ، ومنع إظهار دين الإسلام هو المبيح لقتالهم ، فمن قاتل يقاتل ، ومن سالم لا يقاتل .**
- **الثالث: أن كلمة (الناس) ليست على إطلاقها ، وليس المراد بها كل الناس ، بل طائفة بعينها وهم مشركو مكة ويؤيد هذا ما جاء فى الرواية الأخرى التي أخرجها النسائي " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،...إلخ " ([2]).قَالَ الْخَطَّابِيُّ :" مَعْلُومٌ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَذَا أَهْلُ الْأَوْثَانِ دُونَ أَهْلِ الْكِتَابِ . "([3]).ويؤيد هذا الشيخ / محمد**

([1]) انظر : الجهاد في الإسلام. كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟ محمد سعيد البوطي ، ص ٥٩ دار الفكر دمشق. ط١. ١٩٩٣م.

([2]) سنن النسائي كِتَابُ تَحْرِيمِ الدَّمِ ٧ / ٧٥ ، ح ٣٩٦٦ مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

([3]) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي ، ١ / ٢٠٦ ،دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

الغزالى بقوله : " هذا الحديث يتناول أناساً معينين نقضوا كل عهد ، ورفضوا كل حرية ، وكرسوا جهودهم وثرواتهم للقضاء على الإسلام ورجاله ... فالحديث من قبيل العموم الذى أريد به الخصوص وأنه فى طائفة انتهت من التاريخ الأول ، لأن عبدة الأصنام من غير جزيرة العرب يمكن أن يعاملوا معاملة اليهود والنصارى . "([1]) وعلى هذا فإن (أل) في كلمة الناس للعهد وليست للجنس ، فالحديث خاص بمن نقض العهد من المشركين وليس على عمومه .

- الرابع: أن ظاهر الحديث معلول بمعارضته للقرآن الكريم بسبب علة تعميمه القتال لكل من هو غير مسلم ، وفيه تناقض مع القرآن الكريم لأن معنى الحديث إكراه الناس على الإيمان بالسيف ، وهو يتناقض مع سيرة النبي الذي كاتب الملوك والحكام .

- الخامس : أن الحديث يعالج التطرف من ناحية أخرى فهو ينهى المسلم عن العدوان على من نطق بالشهادتين ، وينهى عن تكفير الآخرين بأمور باطنة ويعترف بالإسلام بناء على الأمور الظاهرة، والحديث دعوة للحرية الدينية واحترام الناس فى انتمائهم لما يشاءون من دين ، وادعاء أن الحديث دعوة للإرهاب محض نفاق . ([2])

([1]) الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر ، الشيخ / محمد الغزالى ، ص ٢٣ ، طبعة مكتبة وهبة القاهرة .

([2]) انظر : دفع الشبهات عن السنة والرسول د/ عبدالمهدى عبدالقادر ، ص١٥٠ ، ط مكتبة الإيمان الثانية ٢٠٠٦م.

❖ السادس: أن تاريخ الدعوة يشهد بصدق هذه النظرة ، فالقتال يكون لمن يقف حجر عثرة فى وجه الدعوة ، ويصد عن سبيل الله ، فهذا يُدفع بالقتال حتى تصل الدعوة للناس ، فمن شاء اعتنقها دون إكراه ، ومن شاء بقى على دينه " فالجهاد في سبيل الله هدفه تبليغ الدعوة الإسلامية إلى الناس وتحقيق حريتهم في اختيار دينهم ولا إكراه في الدين .. وإن الحكام كانوا يخدعون الرعية بمعسول القول أحيانا ويخضعونهم ويلزمونهم دينا معينا بالبطش والقهر أحيانا أخرى فلإزالة هاتين العقبتين كان الجهاد وكان القتال وكان الحديث الشريف " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فإذا قالوها عصموا مني دماء هم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ." ([1]).

فدين الإسلام دينٌ هو دين رحمةٍ ورأفةٍ ، لم يكره أحدا على الدخول فيه ، بشرط ألا يكون عقبةً أو حاجزاً كما قال تعالى : { لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغي }([2]).

المطلب الرابع : إشكالية حول حديث (الجنة تحت ظلال السيوف)

فقد روى البخاري عَنْ سَالِمٍ أَبِي النَّضْرِ، مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَكَانَ كَاتِبًا لَهُ، قَالَ: كَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَرَأْتُهُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا، انْتَظَرَ حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ،

([1]) فتح المنعم شرح صحيح مسلم ، د/موسى شاهين لاشين ٧ / ٨٣ ، دار الشروق طبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

([2]) سورة البقرة :الآية ٢٥٦ .

وَسَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ»(١) .

وجه الإشكال : فهم البعض من ظاهر هذا النص أن الدعوة الإسلامية تدعو لاستعمال السيف فى دعوة الآخرين وأنه الطريق إلى الجنة .

دفع الإشكال ورده : ويمكن رد هذا الإشكال ودفع الفهم المنحرف عنه من وجوه منها :

- <u>الأول :</u> أن مناسبة ورود الحديث تجلى لنا معناه الصحيح فالحديث كما رواه البخاري قيل في مناسبة التعبئة لإحدى الغزوات بدليل ما ورد فى صدر الحديث (فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا) وقوله (لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ) وليست المعارك والحروب هي الأصل ، بل هي حالة طارئة يضطر لها المسلمون . ومن فقه الإمام مسلم أنه أخرج الحديث في باب كراهة تمني لقاء العدو.
- <u>الثاني :</u> أن مفهوم الحديث هو الحض على الآخرة ، وليس التحريض على القتال ، وهذا ما سطره شُراح الحديث يقول الإمام / بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ) " قَوْله : (إن الْجنَّة تَحت ظلال السيوف) أَي: إن ثَوَاب الله وَالسَّبَب الْموصل إِلَى الْجنَّة عِنْد الضَّرْب بِالسُّيُوفِ فِي سَبِيل الله، وَقَالَ ابْن الْجَوْزِيّ: المُرَاد أَن دُخُول الْجنَّة يكون بِالْجِهَادِ، والظلال جمع: ظلّ، فَإِذا دنى الشَّخْص من الشَّخْص صَار تَحت ظلّ سَيْفه، وَإِذا تدانى الخصمان صَار كل وَاحِد مِنْهُمَا تَحت ظلّ

(١) صحيح البخاري بَابٌ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ أَوَّلَ النَّهَارِ أَخَّرَ القِتَالَ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ ٤/ ٥١ .ح ٢٩٦٥.

سيف الآخر، فالجنة تُنال بِهَذَا. " ([1]) إذن هو الجهاد الذي يقع تحت إمرة الإمام ، وهو جهاد الدفع ، وليس العدوان ، وليس القتال للآخرين حباً للسيف في ذاته .

([1]) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين العينى ، ١٤ / ١١٥ : دار إحياء التراث العربي – بيروت.

المبحث الخامس : **إشكاليات حول علاقة الجهاد بالدعوة الإسلامية ونقدها**.

وجه الإشكال : وقع إشكال كبير عند منحرفي الفهم ، والثقافة ، والفكر من منظرى جماعات الجهاد والتكفير والهجرة فى بيان العلاقة بين الجهاد والدعوة ، حيث فهموا أن الجهاد هو السبيل الوحيد للدعوة ، وأنه وسيلة البلاغ لهذا الدين ، فكتاب الفريضة الغائبة يبدأ بمقدمة يذكر فيها مؤلفه " أن علماء الإسلام فى العصر الحديث تجاهلوا الجهاد في سبيل الله رغم علمهم أنه الطريق الوحيد لإعادة ورفع صرح الإسلام لأن طواغيت الأرض لن تزول إلا بقوة السيف "([1]) .

رد الإشكال : والحق إن هناك علاقة وثيقة بين الجهاد فى سبيل الله والدعوة إلى الله تعالى :

فالجهاد بمفهومه العام : هو بذل الجهد لنشر الدين الصحيح بين الناس وقد جاء بهذا المعنى فى السور المكية كقوله تعالى : (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ). ([2]) والدعوة إلى الله بكل أساليبها الواردة فى قوله تعالى: (ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) ([3])

([1]) الجهاد الفريضة الغائبة ، محمد عبدالسلام فرج ، ص ٥.

([2]) سورة النحل الآية ١١٠ ..

([3]) سورة النحل الآية ١٢٥

هي نوع من الجهاد فى سبيل الله عملاً بقوله تعالى : (فَلا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَجاهِدْهُمْ بِهِ جِهاداً كَبِيراً) (١) .

ومن هنا فرق العلماء بين نوعين من الجهاد : الجهاد الدعوى ، والجهاد القتالي :

فالجهاد الدعوى : هو الأصل في تبليغ الإسلام وهو الذي شرع في مكة منذ فجر الدعوة ، ولا يزال مشروعاً حتى يومنا هذا ، وهو الأصل لجميع أنواع الجهاد الأخرى .

الجهاد القتالي : وهو الذي شُرِع فى المرحلة المدنية بعد الهجرة لأسباب شرعية يقول عنها الإمام / محمود شلتوت: " إن آيات القتال تدل على أن سببه ينحصر في رد العدوان وحماية الدعوة وحرية الدين، وفي هذه الدائرة وحدها شرع الله القتال" .(٢) ويضاف إلى ذلك : (إزالة المعوقات التي تحول دون تبليغ الدين الصحيح للناس كافة ، بالإضافة إلى حماية الأقليات المسلمة من الاعتداء والاضطهاد ، وردع الذين ينكثون العهد بعد ميثاقه ، وكذا حماية الدولة من الفتن). وليس الغرض من فرضية الجهاد القتالي إزالة الكفر أو الطواغيت كما يزعم المنحرفون فكريا وسلوكياً.

ويمكن أن نلخص العلاقة بين الجهاد الدعوى والقتالي في أمرين (٣) :

---

(١) سورة الفرقان الآية ٥٢ .

(٢) القرآن والقتال ، الإمام / محمود شلتوت ، ص ٨٩ ، مطبعة دار الكتاب العربي ، القاهرة ، عام ١٩٥١ م

(٣) انظر : كلمة فى فقه الجهاد ، د / محمد سالم أبوعاصى ، ص ١٣٣ ، من مؤتمر الأزهر العالمى لمواجهة التطرف والإرهاب بالقاهرة ١٤٣٦ هـ: / ٢٠١٤ م .

❖ أن الجهاد الدعوى من أحكام التبليغ ، فالدعوة تتسع وتضيق حسب فهم الداعية ، وثقافته ، وطاقته ، أما الجهاد القتالي فهو من أحكام السياسة الشرعية في باب الاجتهاد.

❖ أن الجهاد الدعوى كان ولا يزال حواراً وإقناعاً ، وليس إرغاماً وإكراهاً ، والجهاد القتالي كان درءاً للحرابة والاعتداء ، لا عدواناً وحرباً .

المبحث السادس : المفاهيم الصحيحة للجهاد في ضوء الكتاب والسنة والتراث الإسلامي .

وبعد هذه الجولة في ذكر المفاهيم المنحرفة حول الجهاد وأحكامه قديماً وحديثاً ، لابد من معرفة مفهوم الجهاد الشرعي ؟ وما التفسير الصحيح لكلمة الجهاد في النصوص الشرعية؟ لنرد على من يعتقد أن مفهوم الجهاد يعنى إلزام الناس بالدخول في الإسلام، وإلزام الكفار باعتناقه، ما يستدعى ذكر المفاهيم الصحيحة للجهاد في ضوء الكتاب والسنة والتراث الإسلامي كما يلي :

المطلب الأول : المفاهيم الصحيحة للجهاد في ضوء الكتاب والسنة :

وفى بيان مفهوم الجهاد في القرآن الكريم والسنة النبوية نقف على مجموعة من الحقائق الثابتة التي تردُ على كل فكر منحرف وضال ، وتتمثل هذه الحقائق فيما يلي :

❖ **أولاً** :بالاستقراء وجد أن مصطلح الجهاد ومشتقاته قد ذكر في القرآن الكريم إحدى وأربعين مرة (1) بصيغ مختلفة مما يدل على أنه مصطلح قرآني خالص، وهذه الصيغ تشمل بالمفهوم القرآني كل أنواع الجهاد ، وعليه فحصر مفهوم (الجهاد) في القتال خطأ في فهم الكتاب والسنة، فإن الجهاد فيهما جاء بمعنى القتال، وجاء بمعنى أكبر من ذلك وأشمل قال تعالى: (فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادًا

---

(1) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبدالباقى ص ١٨٢ ، دار الكتب المصرية ١٣٦٤ هـ .

كبيرًا) ([1]) قال ابن عباس رضي الله عنهما : (وجاهدهم به) أي القرآن([2]). فالجهاد الكبير هنا ليس هو القتال، وإنما هو الدعوة والبيان بالحجة والبرهان، وأعظم حجة وبيان هو هذا القرآن، وبيانه الذي هو السنة . فمفهوم الجهاد في الكتاب والسنة ليس مرادفا للقتال بل له مفهوم أوسع وأشمل وهذا ما يفهم من الآية السابقة ومن قوله تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} ([3]). فليس المراد بجهاد المنافقين القتال، لأن المنافقين يظهرون الإسلام ويتخذونه جُنَّة، والنبي ﷺ لم يقاتلهم بل عاملهم بظواهرهم ، ولكن جهاد المنافقين يكون بالوسائل الأخرى، مثل كشف أسرارهم ودواخلهم وأهدافهم الخبيثة، وتحذير المجتمع منهم .

❖ **ثانياً**: تتسع دلالة مصطلح الجهاد في القرآن الكريم لتشمل كافة أنواع المجاهدة كما جاء في قوله تعالى : (وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) ([4]) والمعنى كما نُقل عن ابن عباس: وَالَّذِينَ جاهَدُوا في طاعتنا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سبل ثوابنا. وقيل: جاهَدُوا بالهجرة لَنَهْدِيَنَّهُمْ سبل الثبات ، وقيل: وَالَّذِينَ جاهَدُوا بالثبات لَنَهْدِيَنَّهُمْ

([1]) سورة الفرقان:٥٢.

([2]) تفسير ابن كثير ٦ / ١١٦. دار طيبة ، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م ،

([3]) سورة التوبة: الآية ٧٣ .

([4]) سورة العنكبوت:الآية ٦٩ .

دخول الجنان"([1]) وهذا مما يدل على تعدد ميادين الجهاد ، فحصر الجهاد فى جانب القتال، قصور في فهم النص .

❖ **ثالثاً**: بالمطالعة والاستقراء لآيات القرآن الكريم التي ورد فيها لفظ (القتال) يتضح بجلاء أن النص يتعلق بـ (مقاتلة) لا (قتل)، والمقاتلة تعني الدخول في قتال مع من بدأك بالقتال وليس التوجه إليه بداية بقصد قتله، ([2]) وبالاستقراء تبين أنه " لا توجد آية واحدة تدل أو تشير إلى أن القتال في الإسلام لحمل الناس على اعتناقه "([3]) وهذا مما لم يستوعبه الكثير من أصحاب الفكر المنحرف ممن اختصر الإسلام في الجهاد القتالي.

❖ **رابعاً**: أن الجهاد القتالي فى الإسلام موجه فقط ضد من يقاتلنا، وضد من يعتدي علينا ويخرجنا من ديارنا أو يظاهر على إخراجنا والعدوان علينا، ويحرم علينا نحن المسلمين العدوان بمقاتلة من لا يقاتلنا، قال تعالى :(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) ([4]). وبهذا يتضح من خلال الرؤية القرآنية

([1]) الكشف والبيان الثعلبي ٧ / ٢٩٠ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.

([2]) انظر : الجهاد في الإسلام. كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟ محمد سعيد البوطي ، ص ٥٩ دار الفكر دمشق. ط١. ١٩٩٣م.

([3]) الجهاد فى الإسلام قديماً وحديثاً ، رودلف بيترز ، ص٩٥ طبعة الأهرام الأولى ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦ م .عن القتال د /شلتوت.

([4]) سورة البقرة:١٩٠ .

لمفهوم الجهاد البعد السلمي في رسالة الإسلام عكس ما يحاول الكثير من أصحاب الفكر الجهادي والتكفيري تصويره.

المطلب الثاني : المفاهيم الصحيحة للجهاد في ضوء التراث الإسلامي :

1) **مفهوم الجهاد في التراث اللغوي :** مأخوذ "جهد: الجَهْدُ والجُهْدُ: الطَّاقَةُ وَقِيلَ: الجَهْد الْمَشَقَّةُ والجُهْد الطَّاقَةُ .. وَهُوَ بِالْفَتْحِ، الْمَشَقَّةُ، وَقِيلَ: المبالغة والغاية، وبالضم، الْوُسْعُ وَالطَّاقَةُ؛ وَقِيلَ: هُمَا لُغَتَانِ فِي الْوُسْعِ وَالطَّاقَةِ، فأَما فِي الْمَشَقَّةِ وَالْغَايَةِ فَالْفَتْحُ لَا غَيْرَ" ([1]) . فالجهاد مصدر جهد وهو يدور حول بذل ما فى الوسع والطاقة لتحقيق غاية ما .

2) **مفهوم الجهاد في التراث الفقهي :** فقد عرف بتعريفات متقاربة منها " إنه الدُّعَاءُ إلَى الدِّينِ الْحَقِّ .... وَعَرَّفَهُ ابْنُ الْكَمَالِ بِأَنَّهُ بَذْلُ الْوُسْعِ فِي الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُبَاشَرَةً أَوْ مُعَاوَنَةً بِمَالٍ، أَوْ رَأْيٍ أَوْ تَكْثِيرِ سَوَادٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. اهـ. ([2]).

([1]) لسان العرب ابن منظور ٣٩٥/٢ ، دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ .

([2]) رد المحتار على الدر المختار ابن عابدين، ٤ /١٢١ الناشر: دار الفكر–بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م

٣) **مفهوم الجهاد في الاصطلاح الشرعي**[١]: (بذل المسلم طاقته وجهده في نصرة الإسلام ابتغاء مرضاة الله، ولهذا قيّد الجهاد في الإسلام بأنه في سبيل الله؛ ليدلَّ على هذا المعنى الضروري؛ لتحقق الجهاد الشرعي، وبهذا جاءت الآيات القرآنية معلنة أنَّ جهاد المسلمين ومنه القتال، إنَّما هو جهاد في سبيل لله). فالدلالة اللغوية والشرعية للجهاد تدل على أنه يشمل أنواعاً متعددة من الجهاد ،كجهاد النفس والمال والبيان والقتال ، مما يدل على أن مفهوم الجهاد أوسع من القتال .

٤) **مفهوم الجهاد في مأثورات السلف من خلال التراث :** إن تراثنا الإسلامي بكل فخر واعتزاز، وبدون تعصب محل تقدير، لاعتبارات متعددة منها : (أنه إيجابي النزعة في أخص خصائصه) " فمن يقرأ القرآن الكريم ، وصحيح السنة النبوية فى أخص القضايا التي تُسقط الإنسانية وتهدرها وهى (القتال) يدرك إلى أي مدى إنسانية هذين المصدرين وما نتج عنهما من تراث إسلامي ، فالقتال وسيلة وليس غاية ، والاعتداء به محرم (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) البقرة ١٩٠ ، ويجب إيقافه إذا توقف العدو عن القتال (فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ

---

[١]) انظر : أصول الدعوة . عبد الكريم زيدان ٢٧٢ . مؤسسة الرسالة ط التاسعة ١٤٢١هـ-٢٠٠١م .

فَما جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً)التوبة ٩٠ "([١]) .وفى ضوء هذه الحقيقة نذكر طائفة من أقول السلف حول بيان مفهوم الجهاد وحقيقته وغايته من ذلك:

❖ **يقول الرّاغب الأصفهانى : "والجهاد والمجاهدة: استفراغ الوسع في مدافعة العدو، والجِهَاد ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهر، ومجاهدة الشيطان ، ومجاهدة النفس.وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى: {وَجاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ}[٢]، {وَجاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}[٣]، {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}[٤]، وقال ﷺ : «جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم»، والمجاهدة تكون باليد واللسان"[٥] .**

([١]) التراث الإسلامي بين التقدير والتقديس د/ بكر زكى عوض ، ص ٥٠ ، سلسلة قضايا إسلامية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد (١٢٥) القاهرة ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م .

(٢) سورة الحج الآية ٧٨ .

(٣) سورة التوبة : الآية ٤١ .

(٤) سورة الأنفال : الآية ٧٢ .

(٥) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الإصفهانى ، ص٢٠٨ ، دار القلم، بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ .

❖ ويقول المناوي: "والجهاد استفراغ الوسع في طلب العدو، وهو ثلاثة جهاد العدو الظاهر، وجهاد الشيطان، وجهاد النفس. وغلب استعماله شرعا في الدعاء إلى الدين الحق" [١] .

❖ ويقول الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ): " وَوُجُوبُ الْجِهَادِ وُجُوبُ الْوَسَائِلِ لَا الْمَقَاصِدِ، إذَا الْمَقْصُودُ بِالْقِتَالِ إنَّمَا هُوَ الْهِدَايَةُ وَمَا سِوَاهَا مِنْ الشَّهَادَةِ، وَأَمَّا قَتْلُ الْكُفَّارِ فَلَيْسَ بِمَقْصُودٍ حَتَّى لَوْ أَمْكَنَ الْهِدَايَةِ بِإِقَامَةِ الدَّلِيلِ بِغَيْرِ جِهَادٍ كَانَ أَوْلَى مِنْ الْجِهَادِ. " [٢].

❖ ويذكر صاحب (زاد المعاد فى هدى خير للعباد) أن للجهاد ثلاث عشرة صورة : (فَالْجِهَادُ عنده أَرْبَعُ مَرَاتِبَ: جِهَادُ النَّفْسِ، وَجِهَادُ الشَّيْطَانِ، وَجِهَادُ الْكُفَّارِ، وَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ.) ولكل منها صوراً متعددة [٣].

وبعد هذا العرض الموجز لمفهوم الجهاد من خلال التراث الإسلامي نصل إلى الحقائق التالية :

١) أن مفهوم الجهاد عند جمهور المسلمين يتسع ليشمل صوراً متعددة من الجهاد ، ولا يقتصر على الجهاد القتالي ، وهذا مما يزيل اللغط الذي يُثار حوله اليوم من قبل الجماعات الجهادية .

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوى، ص ١٣٣، عالم الكتب القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م

(٢) مغني المحتاج ، الخطيب الشربيني ٦ / ٩ الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

(٣) زاد المعاد ابن قيم الجوزية ٣/ ٩ الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م

٢) أنهم يرون أن الجهاد القتالي فريضة كفائية ، وأنه وسيلة لتحقيق مقاصد الدين ، وليس غاية في ذاته، ولا مطلوباً لذاته ، بل هو من وسائل الدعوة إلى الدين الصحيح .

٣) أنهم يذهبون إلى أن الجهاد القتالي من أمور السياسة الشرعية ، ومن أمور الإمامة العظمى أي أنه يوكل للإمام دون غيره في تنظيم شؤونه وإعلانه ، وأنه يقع دفعاً للحرابة ، والعدوان ، لا لسبب الكفر حسب الرأي الذي ارتآه جمهور العلماء.

المبحث السابع : صور وآليات تطبيق الجهاد في الوقع المعاصر .

وللجهاد فى الإسلام صور متعددة ، ، وسبل كثيرة يتحقق بها ومن أهمها([1]) ما يلي :

١) **الجهاد بالنفس:** بأن يذهب الشخص بنفسه لجهاد أعداء الدين والوطن ، وهذا ما يقوم به رجال الجيش فى واقعنا المعاصر من التدريب على القتال ، والمرابطة فى الثغور ، وحراسة الحدود ، والحفاظ على أمن الوطن ، وهو أعلى مراتب الجهاد وأعظمها قدرًا ،فقد سُئِلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ([2]).

٢) **الجهاد بالمال:** فالمسلم القادر يجهز نفسه ويجاهد فيكون قد جمع بين فضيلتين عظيمتين الجهاد بالنفس والجهاد بالمال، وقد يكون عاجزا عن القتال، فينفق من ماله لمساعدة المجاهدين بالنفس.

٣) **المساعدة على الجهاد:** وذلك بالإسهام في كل عمل من شأنه التمكين من أسباب النصر :ويتحقق هذا بمضاعفة الجهد في الإنتاج الحربي سواء كان ذلك بالصناعة أو الزراعة أو التجارة، وجلب المعدات الحربية أو إنتاجها وترقية مستواها لتضارع أرقى الأسلحة وأقواها.

([1]) أضواء على الثقافة الإسلامية . د/ نادية شريف العمري ٢٧٥ . مؤسسة الرسالة الطبعة: التاسعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

([2]) صحيح البخاري باب من قال إن الإيمان هو العمل ، ج ١/ ١٤ / ح ٢٦.

٤) **ويتحقق الجهاد أيضًا بحراسة أجهزة الدولة العامة** من تخريب العدو، وبالتصدي لدعايات العدو وإشاعات المنافقين والمغرضين ومن ثم كشفها والرد عليها بالكلمة الواضحة.

٥) **ومن أهم أشكال الجهاد المعاصر**[1] **الجهاد العلمي**: وذلك بالكشف عن آيات الله تعالى في الكون والنفس ؛ لنواكب التطورات العلمية التي يشهدها العالم المعاصر .

٦) **الجهاد الحضاري** : ببذل الجهد من أجل صياغة مشروع حضاري إسلامي معاصر يعبر عن رؤية شمولية لحاضر العالم الإسلامي .

٧) **الجهاد الروحي** : بإحياء الربانية ، وتجسيد القدوة الصالحة التي يكون التأثير فيها بدلالة الحال أبلغ من دلالة المقال .

٨) **الجهاد الإعلامي** : بتقديم المثل العليا والقيم الإسلامية برؤية إعلامية ذات برامج هادفة ، ومناهج رشيدة ، تحافظ على الثوابت ، وتنفتح على منجزات الحضارة الواعدة لتفيد منها .

٩) **الجهاد الفكري** : بإحياء التجديد والاجتهاد الذى يجمع بين فقهاء الشرع ، وخبراء الواقع ؛ ليقدم حلولاً مرتبطة بالأصل ومتعلقة بالعصر ، خروجاً بالأمة من حالة التقليد والجمود .

---

(1) للاستزادة انظر من رقم ٧ إلى ١٢ : الخطأ في ضبط المفاهيم الملتبسة ، د عصام البشير ، ص ١١ وما بعدها بحث مقدم لمؤتمر مكافحة الإرهاب الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي والمنعقد بمكة المكرمة جماد أول ١٤٣٦هـ / ٢٢فبراير ٢٠١٥م .

١٠) **الجهاد التنموي** : ببذل الجهد من أجل تنمية مستدامة لتحقيق الأمن الغذائي ، والصحي ، والعلمي ، والتقني ، وإزالة الأمية ، والتخلف ، والفقر ، والمرض ، ليتحقق للأمة استقلالاً تاماً.

١١) **ومن صور الجهاد فى الواقع المعاصر**" بذل الوسع واستفراغ الطاقة والجهد في ميادين العلم والتعلم والتعليم هو جهاد؛ وبذل الوسع واستفراغ الطاقة والجهد في عمران الأرض نهوضاً بأمانة الاستخلاف الإلهي للإنسان هو جهاد؛ بل إن الرفق بالإنسان والحيوان والنبات والجماد هو جهاد؛ وكذلك البر والإحسان إلى الوالدين والأقربين وأولي الأرحام هو جهاد. كما أن الخشية لله ومراقبته وتقواه هي قمة من قمم الجهاد الذي فرضه الإسلام؛ والكلمة الصادقة جهاد" ([1]) .

وخلاصة القول : إن هذه المفاهيم للجهاد مأخوذة من الجذر اللغوي لكلمة الجهاد ، والتي تدل على العموم والشمول ، وكذلك من المفهوم الشرعى للكلمة ، وتشهد بأن الجهاد فى دعوة الإسلام يشمل الدِّين كله ؛ ويشمل الحياة كلها بكل جوانبها المختلفة الفكرية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ، ويشمل النفس ، والشهوات ، والأهواء ، ووساوس الشياطين ؛ من الجن والإنس ، ولهذا يُسمى حينئذ : (الجهاد الأكبر) ، وله معنى خاص هو القتال لإعلاء كلمة الله ، وهذا يشغل مساحة أصغر من الأولى، ولهذا سُمِّيَ (الجهاد الأصغر) .

([1]) حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب ، د / محمد عمارة ، مجلة حراء، دراسات إسلامية ، ص١٠ ، عدد تشرين ٢٠٠٥ م .

الخاتمة

وبعد دراسة موضوع الجهاد أقف مع القارىء على أهم النتائج والتوصيات :

أولاً النتائج : توصل البحث لمجموعة من النتائج أهمها ما يلي :

١) تبين لي أن الجذور الأولى لظهور الانحرافات والإشكاليات حول الجهاد الإسلامي تعود إلى القرن الأول الهجري ، وإلى فرقة الخوارج خاصة ، والتي انحرفت فكرياً وسلوكياً نتيجة لفهمها الخاطئ لمسألة الإيمان والكفر ، فلم يحرروها تحريراً صحيحًا فضلوا وأضلوا.

٢) يعود السبب الأساسي وراء ظهور الانحراف الفكري حول الجهاد عند الخوارج لسوء فهمهم للنص الشرعي ، واعتمادهم على ظواهر النصوص دون التفات للنصوص الأخرى التي تعارضها أو تخصصها ، مما تولد عنه تراث الغلو والتشدد في الفكر الإسلامي والذي لا يزال موجودًا ، ويعد مرجعاً للجماعات المتطرفة حديثاً ، ومصدراً من أهم مصادر الاستدلال على آرائهم المغلوطة مما كان له أثره العملي فى التوجه نحو الخروج على الحكام ، وتكفير المجتمع فى العصر الحاضر.

٣) تبين أن انحراف الجماعات الجهادية والتكفيرية المعاصرة يرجع إلى أنهم لم يفهموا النصوص التراثية بل تم تأويلها وتفسيرها وحرفها بعيداً من دلالاتها الأصلية، فَهُمْ قد جانبهم الصواب في توثيق النص وقراءته، وأخطؤوا أيضًا في فهم الكلمة المحرفة ، وأصدق مثال على

ذلك انحراف صاحب أول نص جهادي تكفيري فى فهم فتوى ماردين للشيخ ابن تيمية .

٤) ظهر جلياً من خلال الكتاب والسنة أن للجهاد فى الإسلام صورا كثيرة تشمل كل جوانب الحياة المختلفة الفكرية ، الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ، وهذا يُسمى (الجهاد الأكبر) ، وله معنى خاص هو القتال لإعلاء كلمة الله ، ويسمي (الجهاد الأصغر) .

٥) أن الجهاد بمفهومه الشامل باق إلى يوم القيامة ، أما القتال فعارض، باستيفاء أسبابه وانتفائها ، وأن الجهاد فرض عين ، بينما القتال فرض كفاية لا يتعين إلا في ثلاث حالات .

ثانياً : التوصيات : يطيب لي أن أقدم بعض التوصيات :

١) أوصى المؤسسات الدعوية والعلمية ، بإعادة نشر المفهوم الصحيح للجهاد فى ضوء الكتاب والسنة والتراث الإسلامي الصحيح وضرورة مناقشة الإشكاليات والانحرافات التي أثارها الجهاديون والتكفيريون حول الجهاد الإسلامي وإزالة ما لحقه من تشويه وتحريف .

٢) أوصى الباحثين والدارسين بدراسة مصادر الفكر المنحرف حول مفهوم الجهاد ، وغيره من المفاهيم الإسلامية التي شُوهت من قِبل هؤلاء ، وتفكيك هذا الفكر المتطرف .

٣) ضرورة إعادة دراسة الجهاد ومعالمه وضوابطه بما يناسب ظروف الحياة المعاصرة .

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

١) أبجديات البحث في العلوم الشرعية ، د/ فريد الأنصاري ، دار الفرقان ، الطبعة الأولي ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبوالسعود ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٣) استنباط التنزيل ، السيوطي ، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م .

٤) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، العلامة / محمد أبو شُهبة ، مكتبة السنة ط الرابعة.

٥) أصول الدعوة . عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ط التاسعة ١٤٢١هـ-٢٠٠١م .

٦) أضواء على الثقافة الإسلامية . د/ نادية شريف العمري ، الرسالة الطبعة: التاسعة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م

٧) تاريخ الجدل، الشيخ محمد أبو زهرة، ص:١٤٦. ط دار الفكر العربي.

٨) تفجيرات الرياض الأحكام والآثار، قيادات الجماعة الإسلامية، م التراث الإسلامي بالقاهرة، ط أولى ١٤٢٤هـ.

٩) تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

١٠) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ،الناشر: دار طيبة الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

١١) التراث الإسلامي بين التقدير والتقديس د/ بكر زكى عوض ، سلسلة قضايا إسلامية المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد (١٢٥) القاهرة ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م .

١٢) التفجيرات والاغتيالات (الأسباب والآثار والعلاج) ، أبو الحسن السليماني . مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٢٧) شوال ١٤٣٣ هـ

١٣) التفسير والمفسرون ، د /محمد حسين الذهبي ، ط مكتبة وهبة، القاهرة.

١٤) التفسير الوسيط ، د/ محمد سيد طنطاوي ، ط : دار نهضة مصر طبعة: الأولى ١٩٩٧م .

١٥) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوى، عالم الكتب القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م

١٦) جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري ، ط مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ /٢٠٠٠ م.

١٧) الجامع لأحكام القرآن القرطبى دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م .

١٨) الجهاد في الإسلام. كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟ البوطي ، دار الفكر دمشق. ط١. ١٩٩٣م.

١٩) الجهاد في الإسلام قديماً وحديثاً ، رودلف بيترز ، طبعة الأهرام الأولى ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦ م

٢٠) الجهاد الفريضة الغائبة محمد عبدالسلام فرج ، الطبعة المصرية .

٢١) حقيقة الجهاد والقتال والإرهاب ، د / محمد عمارة ، مجلة حراء ، ، عدد تشرين ٢٠٠٥ م .

٢٢) خطورة التكفير ، الإمام الأكبر د/ أحمد الطيب ، من أعمال مؤتمر الأزهر العالمي لمواجهة التطرف والإرهاب سلسلة مجمع البحوث الإسلامية السنة السابعة والأربعون الكتاب الثالث ١٤٣٧هـ / ٢٠١٥م .

٢٣) الخطأ في ضبط المفاهيم الملتبسة ، د/ عصام البشير ، بحث مقدم لمؤتمر مكافحة الإرهاب الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي والمنعقد بمكة المكرمة جماد أول ١٤٣٦هـ / ٢٢فبراير ٢٠١٥ م .

٢٤) دفع الشبهات عن السنة والرسول د/ عبدالمهدى عبدالقادر ، ط مكتبة الإيمان الثانية ٢٠٠٦م.

٢٥) الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر ، الشيخ / محمد الغزالي ، طبعة مكتبة وهبة القاهرة .

٢٦) روح المعاني ، الألوسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

٢٧) رد المحتار على الدر المختار ابن عابدين، دار الفكر بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢٨) صحيح البخاري ، طبعة دار طوق النجاة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ .

٢٩) العلاقات الدولية في الإسلام ، الإمام محمد أبوزهرة ،دار الفكر العربي القاهرة ، ١٤١٥ هـ /١٩٩٥ م.

٣٠) العمدة في إعداد العدة ، عبدالقادر عبدالعزيز ، دار البيارق، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

٣١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم ، د/موسى شاهين لاشين ، دار الشروق ط الأولى ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م

٣٢) فتاوى دار الإفتاء المصرية : فتوى ماردين تحت رقم مسلسل : ٢٤٢٥ بتاريخ : ٢٠١١/٠٨/١٤.

٣٣) فهم التراث ومشاكل الجهاديين، هاني نسيرة ، ط مركز دراسات الوحدة العربية مصر عام ٢٠١٤م .

٣٤) الفتاوى الكبرى ، لابن تيمية ، دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م

٣٥) الفريضة الغائبة.. كتاب أسس لفكر التنظيم ،عمر عبدالعزيز الشحات ٢٠٠٧ م موقع المصري اليوم.

٣٦) الفريضة الغائبة..الأساس الفكري الأول لتنظيم الجهاد ، عبدالمنعم منيب ج الدستور٣٠ يناير٢٠٠٨ م.

٣٧) الفريضة الغائبة جذور وحورات دراسات ونصوص د/ محمد عمارة ، طبعة نهضة مصر الأولى ٢٠٠٩ م

٣٨) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، العز بن عبد السلام ، مكتبة الكليات الأزهرية ١٤١٤ هـ /١٩٩١ م

٣٩) القرآن والقتال ، الإمام / محمود شلتوت ، مطبعة دار الكتاب العربي ، القاهرة ، عام ١٩٥١ م

٤٠) كلمة في فقه الجهاد ، د / محمد سالم أبوعاصى ، من مؤتمر الأزهر العالمي لمواجهة التطرف والإرهاب بالقاهرة ١٤٣٦ هـ: / ٢٠١٤ م .

٤١) الكشاف ، الزمخشري ،دار الكتاب العربي ، بيروت الطبعة: الثالثة ، ١٤٠٧ هـ.

٤٢) لسان العرب ابن منظور ، دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ .

٤٣) مغني المحتاج ، الخطيب الشربيني الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م

٤٤) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، الأشعري ، المكتبة العصرية ط الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م

٤٥) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهانى ، دار القلم، بيروت الطبعة: الأولى ، ١٤١٢ هـ .

٤٦) والملل والنحل، الإمام / محمد بن عبدالكريم الشهرستاني الناشر: مؤسسة الحلبي . د/ ت .

٤٧) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ،الندوة العالمية الطبعة: الرابعة،١٤٢٠ هـ .

٤٨) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط الثانية، ١٣٩٢.

٤٩) نقض الفريضة الغائبة فتوى ومناقشة الإمام / جاد الحق ، هدية مجلة الأزهر المحرم ١٤٢٤هـ .

٥٠) نواسخ القرآن ، ابن الجوزي ، طبعة المدينة المنورة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م .

٥١)الناسخ والمنسوخ فى القرآن ، هبة الله بن سلامه ، طبعة دار الحكمة دمشق ١٩٩٤م .

الفهرس